








مختصر

# كتاب التذكرة

## بأحوال الموتى وأمور الآخرة

تصنيف

الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي

(المتوفى عام ٦٧١ هـ)

اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية . جامعة الملك سعود



المكتبة الثالثة للأسرة (٤)

# مختصر
# كتاب التذكرة
## بأحوال الموتى وأمور الآخرة

تصنيف
الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي
(المتوفى عام ٦٧١هـ)

اختصره
أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية. جامعة الملك سعود

مدار الوطن للنشر

ح مـــدار الـــوطـــن للـــنـــشـــر، ١٤٣٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهـد الوطنية أثناء النشر
القرطبي، محمد بن أحمد، ت ٦٧١هـ
مختصر كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (المكتبة الثالثة للأسرة ٤).
/أحمد عثمان المزيد ـ الرياض، ١٤٣٥هـ
١٧٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٧ـ٥ـ ٩٠٥٣٠ـ٦٠٣ـ٩٧٨
١ـ القرطبي، محمد بن أحمد، ت ٦٧١ هـ ٢ـ الموت ٣ـ القيامة
أ ـ المزيد، أحمد عثمان (محقق) ب ـ العنوان
ديوي ٢٤٣ ١٤٣٥/٢٣٨٩

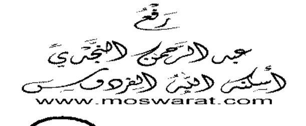
رقـــم الإيـــداع: ١٤٣٥/٢٣٨٩
ردمك: ٧ - ٥ - ٩٠٥٣٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨




الطبعـــة الأولـــى
1435 هـ ـ 2014 م




هاتف: 00966114792042
(5 خطوط)
فاكس: 00966114723941
www.madaralwatan.com





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، **أما بعد،**

للأسرة في الإسلام شأن عظيم ودور مهيب في صنع أجيال الغد، فهي المحضن الأساس واللبنة الأولى لنهضة الفرد والمجتمع ومن ثَمَّ الأمَّة جمعاء.

ومن حين لآخر تتعرض الأسرة المسلمة لمعوقات وصعوبات: أخلاقية، واجتماعية، واقتصادية، وأمنية..؛ تروم دفعها عن طريق السعادة والفلاح في الدَّارين: الدنيا، والآخرة.

وإن من أعظم ما يعين الأسرةَ على التصدِّي لهذه المعوقات وتجاوز تلك الصعوبات: **تركيزها على التربية القيمية النبوية، وعلى رأسها قيمة إفراد الله بالعبودية وتعظيمه سبحانه وتعالى ومراقبته، وقيمة الإخلاص والصدق والأمانة والبرِّ والإحسان**، فبهذه التربية يتقوَّى الوازع الديني.

ولن تجد سبيلًا إلى ذلك أنجع من كتاب ربنا سبحانه وتعالى وسنة نبينا ﷺ بفهم سلف الأمة، قال الإمام مالك: «ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها».

ومن ثَمَّ كانت سلسلة **مكتبة الأسرة** المستقاة من أسفار سلفنا الصالح تلخيصًا وتهذيبًا وعرضًا. وقد دفعنا للمضي قُدمًا في هذه السلسلة حسن تلقِّي القرّاء لمكتبة الأسرة الأولى[1] والثانية[2].

وقد ضمَّت **مكتبة الأسرة الثالثة** بين دفتيها الكتبَ التالية:

**١ - تَفْسِيرُ العُشْرِ الأَخِيرِ من القرآن الكريم مختصراً من تفسير ابن كثير.**

**يقول الشوكاني** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولابن كثير التَّفْسِير الْمَشْهُور، وَهُوَ فِي مجلدات، وَقد جمع فِيهِ فأوعى، وَنقل الْمذَاهب والأخبار والْآثَار، وَتكلم بِأَحْسَن كَلَام وأنفسه، وَهُوَ من أحسن التفاسير إن لم يكن أَحْسنهَا»[البدر الطالع: ١/ ١٥٣].

---

(١) ضمَّتْ مكتبةُ الأسرة الأولى الكتبَ التالية:

١- مختصر رياض الصالحين، للنووي.
٢- هدي رسول الله ﷺ من زاد المعاد، لابن القيم.
٣- مختصر حادي الأرواح، لابن القيم.
٤- مختصر عدة الصابرين، لابن القيم.
٥- مختصر الداء والدواء، لابن القيم.
٦- مختصر الفوائد، لابن القيم.

(٢) ضمَّتْ مكتبةُ الأسرة الثانية الكتبَ التالية:

١- مختصر الفصول في سيرة الرسول ﷺ، لابن كثير.
٢- مختصر الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، لابن القيم.
٣- مختصر جامع العلوم والحكم، لابن رجب.
٤- مختصر صيد الخاطر، لابن الجوزي
٥- مختصر لطائف المعارف، لابن رجب.
٦- مختصر الكبائر، للذهبي.

**٢- مُخْتَارَات مِنْ مُخْتَصَرِ صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ، للزبيدي.**

**يقول الزبيدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أحببت أن أجرِّد أحاديثه [صحيح البخاري] من غير تكرار، وجعلتها محذوفة الأسانيد؛ ليقرب انتوال الحديث من غير تعب» [التجريد الصريح: ١٣].

**٣- أَعلامُ السُّنَّة المَنْشُوْرَة لاعْتِقَاد الطَّائفة النّاجيَة المَنْصُورَة [٢٢٣ سؤال وجواب في العقيدة]، لحافظ الحكمي.** يقول حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذا مختصر جليل نافع، عظيم الفائدة، جم المنافع، يشتمل على قواعد الدين، ويتضمن أُصول التوحيد.. واقتصرتُ فيه على مذهب أهل السنة والاتباع، وأهملتُ أقوال أهل الأهواء والابتداع» [أعلام السنة: ٢١].

**٤- مُخْتَصَر كِتَاب التَّذْكِرَة بِأَحْوَالِ الْمَوْتَى وَأُمُورِ الْآخِرَةِ، للقرطبي.**

**يقول القرطبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إني رأيت أن أكتب كتابًا وجيزًا، يكون تذكرة لنفسي، وعملًا صالحًا بعد موتي، في ذكر الموت، وأحوال الموتى، وذكر الحشر والنشر، والجنة والنار، والفتن والأشراط» [التذكرة: ١/ ١٠٩].

**٥- مُخْتَصَر إِغَاثَة اللَّهْفَانِ فِي مَصَايِدِ الشَّيْطَان، لابن قيم الجوزية.**

**يقول ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما مَنَّ الله الكريم بلطفه بالاطلاع على ما أطلع عليه من أمراض القلوب وأدوائها، وما يعرض لها من وساوس الشياطين أعدائها، وما تثمر تلك الوساوس من الأعمال، وما يكتسب القلب بعدها من الأحوال .. أردت أن أقيد ذلك في هذا الكتاب» [إغاثة اللهفان: ١/ ٧].

**٦- مختصر تُحْفَة الْمَوْدُوْدِ بِأَحْكَامِ الْمَوْلُودِ، لابن قيم الجوزية.**

**يقول ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا كتاب قصدنا فِيهِ ذكر أَحْكَام الْمَوْلُود الْمُتَعَلّقَة بِهِ بعد وِلَادَته مَا دَامَ صَغِيرًا: من عقيقته وأحكامها، وَحلق رَأسه، وتسميته، وختانه، وبوله، وثقب أُذُنه، وَأَحْكَام تَرْبِيَته، وأطواره من حِين كَونه نُطْفَة إِلَى مستقره فِي الْجنَّة أَو النَّار» [تحفة المودود: ٦].

**والشكر الجزيل والثناء الجميل لكل من ساهم وشارك ودعّم هذا العمل، والله نسأل أن يجعل هذا العمل عملا صالحا متقبلًا!**

أ.د. أَحْمَد بْن عُثْمَان الْمَزْيَد
أُسْتَاذُ الدِّرَاسَات الإِسْلَامِيَّة – جَامِعَة الْمَلِك سُعُود
dralmazyad@hotmail.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

**يقول العبدُ الفقيرُ إلى ربِّه، المتنصِّلُ مِن ذنبِهِ، الراجِي رَحمةَ ربِّهِ: محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي بكرِ بنِ فَرْحٍ الأنصاريُّ، الخزرَجيُّ، الأندلسيُّ، ثم القُرْطُبِيُّ، غفَرَ الله له، ولوالديه، ولجميع المسلمين أجمعين، آمين!**

الحمدُ لله العلِيِّ الأعلَى، الوليِّ المولَى، الذي خلقَ فأَحْيا، وحَكَمَ على خَلقِه بالموتِ، والفَناءِ، والبعْثِ إلى دارِ الجَزَاءِ، والفصْلِ والقضاءِ؛ لتُجزى كلُّ نفْسٍ بما تَسْعَى كما قال في كتابه جَلَّ وعَلا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٤ - ٧٦]، وبعدُ:

فإني رأيتُ أن أكتبَ كتابًا وجيزًا؛ يكون تذكرةً لنفسي، وعملًا لصالحًا بعد موتي في ذكرِ الموتِ، وأحوال الموتى، وذكرِ الحشرِ، والنشر، والجنّة، والنار، والفتن، والأشراط.

نقلته من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة، حسْبَ ما رويته أو رأيته، وسترى ذلك منسوبًا مبيّنًا إن شاء الله تعالى.

وسمَّيْته: «**كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**»، وبوّبته بابًا بابًا، وجعلتُ عقب كلِّ باب فصلًا أو فصولًا نذكرُ فيه ما يحتاج إليه من بيان غريبٍ، أو فقهٍ في حديثٍ، أو إيضاح مُشْكِلٍ؛ لتكملَ فائدتُه، وتعظمَ منفعتُه؛ إذ التفقهُ في حديث رسول الله ﷺ هو المعنى المقصودُ، والرأيُ المحمود، والعمل الموجودُ في المقام المحمود، واليوم المشهود.

جعله الله خالِصًا لوجهه ومُقربًا من رحمته بمنِّه وكرمه، لا ربَّ سواه، ولا معبود إلا هو سبحانه.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب النهي عن تمني الموت والدعاء به لضر نزل في المال والجسد

مسلم[1] عن أنسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي**».

وقال البخاري: «**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ: إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ**»[2].

قال العلماء: الموتُ ليسَ بعدمٍ محضٍ، ولا فناءٍ صرفٍ، وإنما هو انقطاعُ تعلق الروحِ بالبدن، ومفارقته، وحيلولةٌ بينهما، وتبدلُ حالٍ، وانتقالٌ من دارٍ على دار، وهو من أعظم المصائب، وقد سمَّاه الله تعالى مصيبةً في قوله: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [المائدة: ١٠٦]، فالموتُ هو المصيبة العُظمى والرزيةُ الكُبْرَى.

قال علماؤنا: وأعظمُ منه الغفلةُ عنه، والإعراضُ عن ذكره، وقلةُ التفكر فيه، وتركُ العمل له، وإنَّ فيه وحدَه لعبرةً لمن اعتبر، وفكرةً لمن تفكر!

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

### فصل

وقوله: «**فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ**»، الاستعتَاب: طَلَبُ العُتْبَى، وهو الرِّضى، وذلك لا يحصل إلا بالتوبةِ والرجوعِ عن الذنوبِ.

وقال أبو الدرداء ﷺ: «ما من مؤمن إلا والموتُ خيرٌ له، فمن لم يُصدقني فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عمرا: ١٧٨]».

وقال حيّانُ بن الأسودِ: «الموتُ جسرٌ يوصلُ الحبيبَ إلى الحبيب».

---

(١) مسلم: (٢٦٨٠)، البخاري: (٦٣٥١).
(٢) البخاري: (٥٦٧٣).

## بابُ جوازِ تمني الموتِ والدعاءِ به خوفَ ذهابِ الدِّين

قال الله تعالى مخبرًا عن يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وعن مريم عليها السلام في قولها: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣].

مالِكٌ[١] عن أبي الزنادِ عن الأعرجِ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ!**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## بابُ ذكر الموت وفضله والاستعداد له

النسائي[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**»، يعني: الموت.

ابن ماجه[٣] عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ، فجاء رجلٌ من الأنصار فسلّم على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أيُّ المؤمنين أفضل؟ قال: **أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**. قال: فأيُّ المؤمنين أكيَس؟ قال: **أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ!**».

الترمذي[٤] عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكَيِّسُ: مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ: مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ**».

وقال السدّي في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، «أي: أكثرُكُم للموتِ ذكرًا، وله أحسنُ استعدادًا، ومنه أشدُّ خوفًا وحذرًا».

---

(١) موطأ مالك: (١/ ٢٤١)، البخاري: (٧١١٥)، مسلم: (١٥٧).

(٢) النسائي: (١٨٢٤)، الترمذي: (٢٣٠٧)، ابن ماجه: (٤٢٥٨).

(٣) ابن ماجه: (٤٢٥٩).

(٤) الترمذي: (٢٤٥٩).

قال علماؤنا رحمةُ الله عليهم: قوله ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذكرَ هاذِمِ اللذَّات الموت**»: كلامٌ مختصرٌ وجيزٌ، قد جمع التذكرة، وأبلغ في الموعظة، فإن من تذكر الموت حقيقةَ ذكره نَغَّصَ عليه لذَّته الحاضرة، ومنعه من تمنِّيها في المستقبل، وزهَّده فيما كان منها يؤملُ، ولكنَّ النفوسَ الرَّاكدةَ، والقلوبَ الغافلةَ تحتاجُ إلى تطويلِ الوعّاظِ، وتزويق الألفاظِ، وإلا ففي قوله ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذكرَ هاذِمِ اللذَّات**» مع قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ما يكفي السامع له، ويشغلُ الناظرَ فيه!

وأجمعتِ الأمةُ على أن الموت ليس له سنٌّ معلومٌ، ولا زمنٌ معلومٌ، ولا مرض معلوم؛ وذلك ليكونَ المرءُ على أُهْبَةٍ من ذلك، مستعدًّا لذلك، وكان بعضُ الصالحين يُنادي بالليل على سورِ المدينة: الرحيلَ، الرحيلَ! فلما تُوفي فَقَدَ صوتَهُ أميرُ تلك المدينة، فسأل عنه، فقيل له: إنه قد مات. فقال:

**مـا زالَ يَلهَـجُ بالرَّحِيْـلِ وذِكْـرِهِ ... حَتَّـى أَنَـاخَ بِبَابِـهِ الجَـمَّالُ**
**فَأَصَـابَهُ مُتَيَقِّظًـا ومُشَـمِّرًا ... ذا أُهْبَـةٍ لم تُلهِـهِ الآمـالُ**

وقال التيميُّ: «شيئان قطعا عني لذاذةَ الدنيا: ذكرُ الموت، وذكرُ الوقوف بين يدي الله تعالى».

وقال اللفاف: «مَن أكثرَ ذكر الموت أُكرم بثلاثة أشياء: تعجيلُ التوبة، وقناعةُ القلبِ، ونشاطُ العبادة. ومن نسي الموت عُوقب بثلاثة أشياءٍ: تسويفُ التوبة، وتركُ الرِّضى بالكفافِ، والتكاسلُ في العبادةِ».

فتفكَّرْ يا مغرورُ في الموت وسكرتِهِ، وصعوبةِ كأسه ومرارته! فيا للموت من وعدٍ ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، وكفى بالموتِ مُقْرِحًا للقلوب، ومُبكيًا للعيون، ومفرِّقًا للجماعاتِ، وهادمًا للذات، وقاطِعًا للأمنيات!

## بابُ ما يُذكِّرُ الموتَ والآخرةَ ويُزهِّدُ في الدنيا

مسلم(١) عن أبي هريرة ﷺ قال: زارَ النبي ﷺ قبرَ أمِّه فبكَى، وأبْكَى من حوله فقال: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا القُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ المَوْتَ**».

قال العلماء رحمة الله عليهم: ليس للقلوب أنفعُ من زيارةِ القبورِ، وخاصّة إن كانت قاسيةً، فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمورٍ:

**أحدها:** الإقلاعُ عما هي عليه؛ بحضورِ مجالسِ العلمِ بالوعظ والتذكر، والتخويف والترغيب، وأخبارِ الصالحينَ؛ فإن ذلك ممَّا يليِّن القلوبَ، وينجعُ فيها.

**الثاني:** ذكرُ الموت؛ فيكثرُ من ذكر هادم اللذات، ومفرّق الجماعات، ومؤتم البنينَ والبناتِ!

**الثالث:** مشاهدةُ المحتضرين؛ فإنّ في النظر إلى الميت، ومشاهدةِ سكراته، ونزعاتِه، وتأملِ صورته بعد مماته- ما يقطع عن النفوس لذاتِها، ويطردُ عن القلوب مسرَّاتها، ويمنعُ الأجفانَ من النوم، والأبدانَ من الرَّاحة، ويبعثُ على العمل، ويزيدُ في الاجتهادِ والتعبِ.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه وما يقال عند دخول المقابر وجواز البكاء عندها

أبو داود(٢) عن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا تَذْكِرَةً**».

وذكرَ النسائي(٣) عن بريدة أيضًا عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ قَبْرًا فَلْيَزُرْهُ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا**»، بمعنى: سوءًا.

---

(١) مسلم: (٩٧٦).
(٢) أبو داود: (٣٢٣٥).
(٣) النسائي: (٢٠٣٣).

مسلم[1] عن عائشة ﵂ قالت: «قلتُ يا رسول الله: كيفَ أقولُ؟ قال: **قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ**». خرَّجه مسلم من حديث بُريدةَ أيضًا[2]، وزاد: «**أَسْأَلُ اللهَ لَنا وَلَكُمُ العَافِيَةَ**».

وفي الصحيحين[3]: «أنه ﷺ مرَّ بامرأةٍ تبكي عند قبرٍ لها فقالَ لها: **اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**... الحديث».

والبكاءُ عند العرب يكونُ البُكاءُ المعروفُ، وتكونُ النياحةُ، وقد يكون معها الصياحُ وضربُ الخدود وشقُّ الجيوبِ، وهذا محرمٌ بإجماع العلماء، وهو الذي وردَ فيه الوعيد من قوله ﷺ: «**أنا بريءٌ ممَّن حلقَ، وسَلَقَ، وخَرَقَ**»، خرَّجه مسلم[4].

وأمَّا البُكاءُ من غير نياحةٍ، فقد وردَ فيه الإباحةُ عند القبرِ، وعندَ الموتِ، وهو بكاءُ الرأفةِ والرحمةِ التي لا يكادُ يخلو مِنها إنسانٌ، وقد بكى النبيُّ ﷺ لـمَّا مات ابنُهُ إبراهيم.

وقال عمرُ: «دعهنَّ يبكين على أبي سليمانَ ما لم يكن نقْعٌ أَوْ لقْلَقَةٌ».

**النَّقْعُ**: ارتفاعُ الصوتِ.

**واللقْلَقَةُ**: تتابعُ ذلك، وقيل النقعُ: وضعُ الترابِ على الرأس، والله أعلم.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

---

(١) مسلم: (٩٧٤).

(٢) مسلم: (٩٧٥).

(٣) البخاري: (٧١٥٤)، مسلم: (٩٢٦).

(٤) مسلم: (١٠٤).

## باب المؤمن يموت بعرق الجبين

ابن ماجه[١] عن بُريدة أن النبي ﷺ قال: «المُؤْمِنُ يَمُوْتُ بعَرَقِ الجَبِيْنِ». خرَّجه الترمذي[٢]، وقال فيه: حديث حسن.

قال بعضُ العلماء: إنما يعرَقُ جبينُه حَيَاءً من ربه؛ لما اقترف من مُخالفته.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء أن للموت سكرات

**وصف الله سبحانه وتعالى شدة الموت في أربع آيات:**

**الأولى:** قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾ [ق: ١٩].

**الثانية:** قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

**الثالثة:** ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣].

**الرابعة:** ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦].

البخاري[٣] عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان بين يديه رُكْوةٌ، أو عُلبَةٌ فيها ماء، فجعل يُدْخِل يده في الماء فيمسح بها وجهه، ويقول: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلمَوْتِ سَكَرَاتٍ**؛ ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده».

**بينا الفتى مَرِحُ الخُطَا فرح بما ... يسعى له إذْ قِيلَ قد مَرِضَ الفتى**
**إذ قِيلَ باتَ بليلةٍ مَا نَامَها ... إذْ قِيلَ أصْبحَ مُثْخنًا ما يُرتجى**
**إذْ قِيلَ أصْبَحَ شَاخِصًا ومُوجَّهًا ... ومُعَلَّلًا إذْ قِيل أصْبَحَ قد قَضَى**

وقوله: «إنَّ لِلمَوْتِ سكراتٍ» أي: شدائد؛ وسكْرَةُ الموت: شدَّتُه.

---

(١) ابن ماجه: (١٤٥٢).
(٢) الترمذي: (٩٨٢).
(٣) البخاري: (٤٤٤٩).

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام والأولياء المتقين، فما لنا عن ذكره مشغولين وعن الاستعداد له متخلفين! ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧ – ٦٨].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب لا يموت أحد إلا وهو يحسن بالله الظن وفي الخوف من الله تعالى

مسلم[١] عن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاث: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِالله عَزَّ وَجَلَّ**»، وذكره ابن أبي الدنيا في كتاب «حسن الظن بالله»[٢]، وزاد: «**فَإِنَّ قَوْمًا قَدْ أَرْدَاهُمْ سُوْءُ ظَنِّهِمْ بِالله، فَقَالَ لَهُم تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣]».

حسن الظن بالله ﷻ ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه برحمته ويتجاوز عنه ويغفر له، وينبغي لجلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل في قوله تعالى: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**»[٣].

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا سفيان أن ابن عباس ﷺ قال: «إذا رأيتم بالرجل الموتُ فبشروه؛ ليلقى ربه وهو حسن الظن بالله، وإذا كان حيًّا فخوِّفوه».

وقال الفضيل: «الخوف أفضل من الرجاء ما كان العبد صحيحًا، فإذا نزل به الموتُ فالرجاء أفضل من الخوف».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

---

(١) مسلم: (٢٨٧٧).
(٢) حسن الظن بالله: (ص: ١٩).
(٣) أحمد: (٢٥/ ٣٩٨، ٢٨/ ١٨٧).

## باب تلقين الميت لا إله إلا الله

مسلم[١] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

قال علماؤنا: تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون؛ وذلك ليكون آخر كلامه «لا إله إلا الله»؛ فيختم له بالسعادة، وليدخل في عموم قوله ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**»، خرَّجه أبو داود[٢] عن معاذ بن جبل، وصححه أبو محمد عبد الحق.

ولْيُنبه المحتضرُ على ما يدفع به الشيطان، فإنه يتعرضُ للمحتضر ليفسد عليه عقيدته على ما يأتي، فإذا تلقنها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تُعاد عليه؛ لئلا يضجر، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين والإلحاح عليه إذا هو تلقنها أو فُهم ذلك عنه.

**والمقصود** أن يموت الرجل وليس في قلبه إلا الله ﷻ؛ لأن المدار على القلب، وعمل القلب هو الذي ينظر فيه، وتكون النجاة به، وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما في القلب فلا فائدة فيها ولا عبر عندها.

قلت: لابد من تلقين الميت، ويذكره الشهادة وإن كان على غاية من التيقظ.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب من حضر الميت فلا يلغو وليتكلم بخير، وكيف الدعاء للميت إذا مات، وفي تغميضه

مسلم[٣] عن أم سلمة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا حَضَرْتُمُ المَرِيضَ أَوِ المَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا؛ فَإِنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**. قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات. قال: **قُولِي: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً**. قالت: فقلتُ فأعقبني الله من هو خير لي منه: رسول الله ﷺ».

---

(١) مسلم: (٩١٦).
(٢) أبو داود: (٣١١٦).
(٣) مسلم: (٩١٩).

وعنها ﵂ قالت: «دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه، ثم قال: **إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**. فضج ناس من أهله، فقال: **لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**. ثم قال: **اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ!**»(١).

قال علماؤنا: قوله ﷺ: «**إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوِ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا**»: أمر ندب وتعليم بما يقال عند الميت والمريض، وإخبار بتأمين الملائكة على دعاء من هناك؛ ولهذا استحب العلماء أن يحضر الميتَ الصالحون وأهلُ الخير حالةَ موتِهِ؛ ليذكِّروه ويدعوا له ولمن يخلفه ويقولوا خيرًا، فيجتمع دعاؤهم وتأمين الملائكة؛ فينتفع بذلك الميت، ومن يصاب به، ومن يخلفه.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه وما يقال عند التغميض

ابن ماجه(٢) عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا حَضَرْتُمْ مَوْتَاكُمْ، فَأَغْمِضُوا الْبَصَرَ؛ فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتْبَعُ الرُّوحَ، وَقُولُوا خَيْرًا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤَمِّنُ عَلَى مَا قَالَ أَهْلُ الْبَيْتِ**».

قال أبو داود: «وتغميض الميت إنما هو بعد خروج الروح».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه في سوء الخاتمة وما جاء أن الأعمال بالخواتيم

مسلم(٣) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

---

(١) مسلم: (٩٢٠).
(٢) ابن ماجه: (١٤٥٥).
(٣) مسلم: (٢٦٥١).

وفي البخاري[1] عن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ**».

قال أبو محمد عبد الحق: «واعلم أن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - ما تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم به والحمد لله، وإنما تكون لمن كان له فساد في العقل وإصرار على الكبائر وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة؛ فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة، والعياذ بالله ثم العياذ بالله! أو يكون ممن كان مستقيمًا ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سنته ويأخذ في غير طريقه؛ فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته، وشؤم عاقبته، كإبليس الذي عَبَدَ اللهَ - فيما يُروى - ثمانين ألف سنة، وبلعام بن باعوراء الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها بخلوده إلى الأرض واتباع هواه، وبرصيصا العابد الذي قال الله في حقه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦].

وقال الربيع بن سَبْرَةَ بن معبد الجهني وكان عابدًا بالبصرة: «أدركت الناس بالشام وقيل لرجل: يا فلان قل: لا إله إلا الله. قال: اشرب واسقني».

وقيل لرجل بالأهواز: قل: لا إله إلا الله. فجعل يقول: دَهْ يَازْدَهْ دَوَازْدَه. تفسيره: عشرة، أحد عشر، اثنا عشر، كان هذا الرجل من أهل العمل والديوان فغلب عليه الحساب والميزان. ذكر هذا التفسير أبو محمد عبد الحق.

قلت: ومثل هذا في الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والهم بها أو بسبب من أسبابها، حتى قد حُكِي لنا أن بعض السماسرة جاء عند الموت فقيل له: قل: لا إله إلا الله. فجعل يقول: ثلاثة ونصف، أربعة ونصف. غلبت عليه السمسرة.

ولقد رأيت بعض الحُسّاب وهو في غاية المرض يعقد بأصابعه ويحسب.

---

(١) البخاري: (٦٦٠٧).

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله. فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والجِنَان الفلاني اعملوا فيه كذا وكذا.

نسأل الله السلامة، والممات على الشهادة بمنِّه وكرمه!

**قال المؤلف**: روى البخاري عن سالم عن عبد الله قال: «كان كثيرًا ما كان النبي ﷺ يحلف: **لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**»[١]، ومعناه: يصرفها أسرع من مر الريح على اختلافٍ في القبول والرد والإرادة والكراهة وغير ذلك من الأوصاف.

وفي التنزيل: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، قال مجاهد: «المعنى يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع». بيانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]، أي: عقل، واختار الطبري: أن يكون ذلك إخبارًا من الله تعالى بأنه أملك لقلوب العباد منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئًا إلا بمشيئة الله ﷻ.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في رسل الموت قبل الوفاة

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

وفي البخاري[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً**».

يقال: «أعذر في الأمر»، أي: بالغ فيه، أي: أعذر غاية الإعذار بعبده الذي لا إعذار بعده، وأكبر الإعذار إلى بني آدم بعثة الرسل إليهم؛ ليتم حجته عليهم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، قال: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] قيل: هو القرآن، وقيل هو: الرسل إليهم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وسفيان ووكيع

---

(١) البخاري: (٦٦١٧، ٧٣٩١).
(٢) البخاري: (٦٤١٩).

والحسين بن الفضل والفراء والطبري: هو الشيب؛ فإنه يأتي في سن الاكتهال فهو علامة لمفارقة سن الصبا الذي هو سن اللهو واللعب.

قال:

**رَأَيْتُ الشَّيْبَ من نُذُرِ المنايا ... لِصَاحِبِهِ وَحَسْبُكَ من نذير**

وقيل: النذير: الحمى.

وقيل: موت الأهل والأقارب، والأصحاب والإخوان، وذلك إنذار بالرحيل في كل وقت وأوان وحين وزمان.

وقيل: كمال العقل الذي تعرف به حقائق الأمور ويفصل به بين الحسنات والسيئات، فالعاقل يعمل لآخرته، ويرغب فيما عند ربه، فهو نذير والنذير بمعنى الإنذار، والإنذار والإعذار قريب بعضه من بعض، وأكبر الإعذار إلى بني آدم بعثة الرسل إليهم، ثم الشيب، أو غيره كما بينا.

وجعل الستين غاية الإعذار لأن الستين قريب من معترك العباد وهو سن الإنابة والخشوع والاستسلام لله، وترقب المنية ولقاء الله، ففيه إعذار بعد إعذار، وإنذار بعد إنذار: الأول بالنبي ﷺ، والثاني بالشيب وذلك عند كمال الأربعين، قال الله تعالى: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، فذكر الله ﷻ أن من بلغ الأربعين فقد آن له أن يعلم مقدار نعم الله عليه وعلى والديه، ويشكرهما.

قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يتطلبون الدنيا، ويخالطون الناس حتى يأتي لأحدهم أربعون سنة، فإذا أتت عليهم اعتزلوا الناس».

وفي الآثار النبوية: «**مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»[١].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) الترمذي: (١٦٣٤)، النسائي: (٣١٤٤).

## بابٌ في التوبة وبيانها وفي التائب من هو

قوله ﷺ في الحديث: «إِنَّ اللهَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ» خرَّجه الترمذي[1]، أي: عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم يعاين ما يصير إليه من رحمة أو هوان، ولا تنفع حينئذٍ توبة ولا إيمان، كما قال في محكم البيان: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]، وقال: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨]. فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح، وذلك عند غرغرته بالروح.

فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]، قال ابن عباس والسدي: ﴿مِن قَرِيبٍ﴾: قبل المرض والموت.

وقال أبو مجلز، والضحاك، وعكرمة، وابن زيد وغيرهم: قبل المعاينة للملائكة والسَّوْق، وأن يغلب المرء على نفسه.

وقيل: المعنى يتوبون على قرب عهد من الذنب من غير إصرار، والمبادرة في الصحة أفضل.

والتوبة فرض على المؤمنين باتفاق ثقات المسلمين؛ لقوله: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] الآية.

**ولها شروط أربعة:**

١- الندم بالقلب.

٢- وترك المعصية في الحال.

---

(١) الترمذي: (٣٥٣٧).

٣- والعزم على ألَّا يعود لمثلها.

٤- وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفًا منه لا من غيره.

فإذا اختلَّ شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة.

وقد قيل: من شروطها الاعتراف بالذنب، وكثرة الاستغفار الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان لا التلفظ باللسان. فأما من قال بلسانه أستغفر الله وقلبه مصرٌّ على معصيةٍ، فاستغفاره ذاك يحتاج إلى استغفار.

ورُوي عن الحسن البصري أنه قال: «استغفارنا يحتاج إلى استغفار».

قال الشيخ رحمه الله: هذا يقوله في زمانه، فكيف في زماننا هذا الذي يُرى فيه الإنسان مكبًّا على الظلم مُصرًّا عليه، لا يقلع والسُبْحَةُ في يده، زاعمًا أنه يستغفر من ذنبه! وذلك استهزاء منه واستخفاف، وممن اتخذ آيات الله هزوًا، وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقيل: التوبة النصوح: هي رد المظالم، واستحلال الخصوم، وإدمان الطاعات، وقيل غير هذا.

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إرضاء الخصوم يكون بأن يرد عليهم ما غصبهم من مال، أو خانهم، أو غلبهم، أو اغتابهم، أو خرق أعراضهم، أو شتمهم، أو سبهم، فيرضيهم بما استطاع ويتحللهم من ذلك.

ويكون مع ذلك نادمًا على ما سلف منه ومتحسرًا على ما ضيّع من عمره.

وفي صحيح مسلم والبخاري[1] عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ إِلَى الله تَابَ الله عَلَيْهِ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) مسلم: (٢٧٧٠)، البخاري: (٢٦٦١، ٤٧٥٠).

## باب لا تخرج روح عبد مؤمن أو كافر حتى يُبشر وأنه يصعد بها

مسلم[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِ بِهَا - قال حماد: فذكر من طيب ريحها، وذكر المِسْكَ - قال: وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ، صَلَّى الله عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ. وَأَنَّ الكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ - قال حماد: وذكر من نتنها، وذكر لعنًا - وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ. قَالَ فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ. قال أبو هريرة: فردّ رسول الله ﷺ رِيْطة كانت عليه على أنفه هكذا».

البخاري[٢] عن عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ». فقالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت. فقال: «لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ الله وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ الله وَأَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ الله وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَكَرِهَ لِقَاءَ الله وَكَرِهَ الله لِقَاءَهُ». وخرجه مسلم.

هذا الحديث وإن كان مفسرًا مبينًا فقد رُوي عن عائشة ﷺ في تفسير هذا الحديث أنها قالت لشريح بن هانئ وقد سألها عما سمعه من أبي هريرة: «وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع - فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، خرَّجه مسلم[٣].

وخرَّج الترمذي[٤] في أبواب القدر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله

---

(١) مسلم: (٢٨٧٢).
(٢) البخاري (٦٥٠٧)، مسلم: (٢٦٨٤).
(٣) مسلم: (٢٦٨٥).
(٤) الترمذي: (٢١٤٢).

ﷺ **إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ**. فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: **يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ**»، قال أبو عيسى: «هذا حديثٌ صحيحٌ».

## باب كيفية التوفي للموتى واختلاف أحوالهم في ذلك

ذكر الله تعالى التوفي في كتابه مجملًا ومفصلًا، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، وقال: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]، فهذا كله مجمل وقد بينه النبي ﷺ على ما يأتي إن شاء الله تعالى، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]، قالوا: وهذا مخصوص بمن قُتِل من الكفار يوم بدر باتفاق أهل التأويل فيما قاله بعض علمائنا، وقد ذكر المهدوي وغيره في ذلك خلافًا، وأن الكفار حتى الآن يتوفون بالضرب والهوان، والله أعلم.

وروى مسلم[1] من حديث فيه طول: «قال أبو زُمَيْل فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذا سمع ضربةً بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حَيْزُوم. إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدّث بذلك رسول الله ﷺ فقال: **صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ**. فقتلوا يومئذٍ سبعين، وأسروا سبعين... وذكر الحديث».

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالعذاب، ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ إلى قوله: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقد زادت السنة هذا النوع بيانًا على ما يأتي.

---

(١) مسلم: (١٧٦٣).

## فصل

إن قال قائل: كيف الجمع بين هذه الآي؟ وكيف يقبض ملك الموت في زمن واحد أرواح من يموت بالمشرق والمغرب؟

قيل له: اعلم أن التوفي مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضته ولم تدع منه شيئًا، **فتارةً** يضاف إلى ملك الموت؛ لمباشرته ذلك، **وتارةً** إلى أعوانه من الملائكة؛ لأنهم قد يتولون ذلك أيضًا، **وتارةً** إلى الله تعالى وهو المتوفي على الحقيقة كما قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الحج: ٦٦]، وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [الملك: ٢]، فكل مأمور من الملائكة فإنما يفعل ما يفعل بأمره.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء أن الروح إذا قُبض تبعه البصر

ابن ماجه[1] عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه ثم قال: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ**». أخرجه مسلم أكمل من هذا. وقد تقدم[2].

وروى مسلم[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَمْ تَرَوُا الإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخَصَ بَصَرُهُ؟** قالوا: بلى. قال: **فَذَلِكَ حِينَ يَتْبَعُ بَصَرُهُ نَفْسَهُ**».

في قوله ﷺ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ**»، وقوله: «**فَذَلِكَ حِينَ يَتْبَعُ بَصَرُهُ نَفْسَهُ**» ما يستغنى به عن قول كل قائل في الروح والنفس، وأنهما اسمان لمسمًّى واحد.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

---

(١) ابن ماجه: (١٤٥٤).
(٢) سبق تخريجه ص (١٤).
(٣) مسلم: (٩٢١).

## باب ما جاء في استحسان الكفن

مسلم[١] عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ».

وقال ابن المبارك: «أحب أن يكفن في ثيابه التي كان يصلي فيها».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب الإسراع بالجنازة وكلامها

البخاري[٢] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُونِي، قدِّموني! وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ فيَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ».

البخاري[٣] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أَسْرِعُوا بِالجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا عَلَيْهِ، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ» وأخرجه مسلم أيضًا[٤].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما يتبع الميت إلى قبره وبعد موته وما يبقى معه فيه

مسلم[٥] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلحَقُ المُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ

---

(١) مسلم: (٩٤٣).
(٢) البخاري: (١٣٨٠).
(٣) البخاري: (١٣١٥).
(٤) مسلم (٩٤٤).
(٥) مسلم: (٢٩٦٠)، البخاري: (٦٥١٤)،.

مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»(١).

▪▣▪▣▪

## باب ما جاء أن القبر أول منازل الآخرة وفي البكاء عنده وفي حكمه والاستعداد له

ابن ماجه(٢) عن هانئ مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تَذْكُر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا! قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**». قال: وقال رسول الله ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**».

ابن ماجه(٣) عن البراء قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى من حوله حتى بلّ الثرى، ثم قال: **يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا**».

**القبر**: واحد القبور في الكثرة، وأقبر في القلة، ويقال للمدفن مقبرة.

وحكم القبر أن يكون مسنمًا مرفوعًا على وجه الأرض قليلًا، غير مبني بالطين والحجارة والجص؛ فإن ذلك منهي عنه.

وروى مسلم(٤) عن جابر رضي الله عنه قال: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ القَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ**»، وخرجه الترمذي(٥) أيضًا عن جابر رضي الله عنه قال: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُجَصَّصَ القُبُورُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهَا، وَأَنْ تُوطَأَ**»، قال أبو عيسى: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

---

(١) ابن ماجه: (٢٤٢).
(٢) ابن ماجه: (٤٢٦٧)، الترمذي: (٢٣٠٨).
(٣) ابن ماجه: (٤١٩٥).
(٤) مسلم: (٩٧٠).
(٥) الترمذي: (١٠٥٢).

قال علماؤنا رحمهم الله: كره مالك تجصيص القبور؛ لأن ذلك من المباهاة وزينة الدنيا، وتلك منازل الآخرة وليس بموضع الزينة، وإنما يزين الميتَ في قبره عملُهُ.

وفي صحيح مسلم[١] عن أبي الهيّاج الأسدي قال: «قال لي علي بن أبي طالب ﷺ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: ألّا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في ضغطة القبر على صاحبه وإن كان صالحًا

النسائي[٢] عن عبد الله بن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ العَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ المَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ**». قال أبو عبد الرحمن النسائي: يعني: «سعد بن معاذ».

ومن حديث شعبة بن الحجاج بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِلقَبْرِ ضَغْطَةً، لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ**»[٣].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب في اللحد في القبر

**واللَّحد**: هو أن يحفر للميت في جانب القبر إن كانت الأرض صلبة، وهو أفضل من الشق؛ فإنه الذي اختاره اللهُ لنبيِّه ﷺ.

وروى أبو داود[٤] عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله: «**اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا**»، أخرجه ابن ماجه[٥] والترمذي وقال: «حديث حسنٌ»[٦].

---

(١) مسلم: (٩٦٩).
(٢) النسائي: (٢٠٥٥).
(٣) أحمد: (٤٠/ ٣٢٧، ٤١/ ٢٠٣).
(٤) أبو داود: (٣/ ٢١٣).
(٥) ابن ماجه: (١٥٥٤).
(٦) الترمذي: (١٠٤٥).

عن عمرو بن مرة قال: «كانوا يستحبُّون إذا وضع الميت في اللَّحد أن يقولوا: اللهم أعذْهُ من الشَّيطان الرَّجيم»!

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب الوقوف عند القبر قليلًا بعد الدفن والدعاء بالتثبيت له

مسلم(١) عن ابن شِمَاسَةَ المَهْرِيِّ قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت الحديث، وفيه: «فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي ﷻ».

قال الآجري في كتاب النصيحة: «يستحب الوقوف بعد الدفن قليلًا والدعاء للميت - مستقبل وجهه - بالثبات، فيقال: اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منَّا، ولا نعلم منه إلا خيرًا، وقد أجلستَه لتسأله؛ اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبَّته بالقول الثابت في الحياة الدنيا، اللهم ارحمْهُ وألحقه بنبيِّه محمد ﷺ، ولا تضلنا بعده، ولا تحرمنا أجره».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## فصل

ومن هذا الباب ما ثبت في الصحيحين(٢) عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»**.

وفيهما(٣) أيضًا عن أبي بردة بن أبي موسى ﷺ قال: «وجع أبو موسى وجعًا فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فصاحت امرأةٌ من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا، فلما آفاق قال: أنا بريء مما برئ منه رسولُ الله ﷺ؛ فإن رسول الله ﷺ برئ من: الصالقة، والحالقة، والشاقَّة».

---

(١) مسلم: (١٢١).
(٢) البخاري: (١٢٩٤)، مسلم: (١٠٣).
(٣) البخاري: (١٢٩٦)، مسلم: (١٠٤).

وفي صحيح مسلم[١] عن عبد الرحمن بن يزيد وأبي بردة بن أبي موسى قالا: «أغمي على أبي موسى وأقبلت امرأة تصيح برنة، قالا: ثم آفاق، قال: ألم تعلمي... وكان يحدثها أن رسول الله ﷺ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب في سؤال الملكين للعبد وفي التعوذ من عذاب القبر وعذاب النار

البخاري[٢] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لمحمد ﷺ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ الله بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ.

-زاد مسلم[٣]: «يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سبعون ذراعًا، ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون»- ثم رجع إلى حديث أنس - قال: «وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً؛ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ».

قلت: ليس عند مسلم، قول الملكان: «وَلَا تَلَيْتَ».

وقول الملكان: «وَلَا تَلَيْتَ» قال النحويون: الأصل في هذه الكلمة الواو، أي: (وَلَا تَلَوْتَ)، إلا إنها قُلبت ياءً؛ ليتبع بها «دَرَيْتَ».

وقد جاء من حديث البراء: «لا دَرَيْتَ ولا تَلَوْتَ» على ما رواه الإمام أحمد بن حنبل[٤]، أي: لم تَدْر، ولم تتلُ القرآنَ، فلم تنتفع بدرايتك ولا تلاوتك.

ثم رجع إلى حديث أنس... إلى آخره، وإنما هو عند البخاري، فحديثه أكمل.

---

(١) مسلم: (١٠٤).
(٢) البخاري: (١٣٣٨).
(٣) مسلم: (٢٨٧٠).
(٤) أحمد: (٣٠/ ٥٧٨).

## باب ذكر حديث البراء المشهور الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفي قبورهم

خرَّجه أبو داود الطيالسي[١]، وهو حديثٌ صحيحٌ له طرق كثيرة.

عن البراء بن عازب ﷺ، قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولـمَّا يُلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير - قال عمرو بن ثابت: وقع، ولم يقله أبو عوانة - فجعل يرفع بصره وينظر إلى السماء، ويخفض بصره وينظر إلى الأرض، ثم قال: **أَعُوذُ بِالله مِنْ عَذَابِ القَبْرِ!** قالها مرارًا ثم قال: **إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبالٍ مِنَ الآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا جَاءَهُ مَلَكٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ الله وَرِضْوَانٍ فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ فَتَسِيلُ كَمَا يَسِيلُ قَطْرُ السِّقَاءِ، وَتَنْزِلُ مَلَائِكَةٌ مِنَ الجَنَّةِ بِيضُ الوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ أَكْفَانٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِهَا فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، فَإِذَا قَبَضَهَا المَلَكُ لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ،** قال: **فَذَلِكَ قَوْلُهُ** تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]. قال: **فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ كَأَطْيَبِ رِيحٍ وُجِدَتْ فَتَعْرُجُ بِهِ المَلَائِكَةُ فَلَا يَأْتُونَ عَلَى جُنْدٍ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ أَبْوابَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُفْتَحُ لَهُ وَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ،** فيقال: **اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ:** ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٩ - ٢١]، **فَيُكْتَبُ كِتَابُهُ فِي عِلِّيِّينَ، ثُمَّ يُقَالُ: رُدُّوهُ إِلَى الأَرْضِ فَإِنِّي وَعَدْتُهُمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى.** قال: **فترد إِلَى الأَرْضِ وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فيأتيه مَلَكَانِ شَدِيدَا الانْتِهَارِ فَيَنْتَهِرَانِهِ وَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟** ومَنْ نَبيُّك؟ **فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله وَدِينِيَ الإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ: فَمَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ الله فَيَقُولَانِ وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ:**

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي: (٢/ ١١٤).

جاءَنَا بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّنَا فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. قال: وذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال: وَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ وَأَفْرِشُوهُ من الجنَّة، وَأَرُوهُ مَنْزِلَهُ مِنْهَا. وَيُفْسَحُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيُمَثَّلُ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ حَسَنِ الوَجْهِ طَيِّبِ الرِّيحِ حَسَنِ الثِّيَابِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ، أَبْشِرْ بِرِضْوَانٍ مِن الله، وَجَنَّاتٍ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ! فَيَقُولُ: بَشَّرَكَ اللهُ بِخَيْرٍ مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذِي جَاءَ بِالخَيْرِ. فَيَقُولُ: هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ أَوْ الأَمْرُ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كُنْتَ سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللهِ بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ كَيْ أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي!

قَالَ: فَإِنْ كَانَ فَاجِرًا وكَانَ فِي قُبُلٍ مِنَ الآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا جَاءَهُ مَلَكٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ أَبْشِرِي بِسَخَطِ اللهِ وَغَضَبٍ! فَتَنْزِلُ مَلَائِكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ مَعَهُمْ مُسُوحٌ من نار، فَإِذَا قَبَضَهَا المَلَكُ قَامُوا فَلَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، قَالَ: فتفترق فِي جَسَدِهِ فَتَسْتَخْرِجُهَا تَقْطَعُ مِنْهَا العُرُوقَ وَالعَصَبَ، كَالسُّفُّودِ الكَثِيرِ الشُّعَبِ فِي الصُّوفِ المَبْلُولِ فَتُؤْخَذُ مِنَ المَلَكِ فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جيفة وُجدت فَلَا تَمُرُّ عَلَى جُنْدٍ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا فُلَانٌ بِأَسْوَإِ أَسْمَائِهِ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، فيقولون: رُدُّوهُ إِلَى الأَرْضِ إِنِّي وَعَدْتُهُمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى. قال: فَيُرْمَى بِهِ مِنَ السَّمَاءِ، قال: وتلا هذه الآية: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

قال: فَتُعَادُ إِلَى الأَرْضِ، وَتُعَادُ فِيهِ رُوحُهُ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الِانْتِهَارِ فَيَنْتَهِرَانِهِ وَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ: فَمَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ ذَلِكَ. قَالَ: فَيُقَالَ: لَا دَرَيْتَ فَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ وَيُمَثَّلُ لَهُ عَمَلُهُ فِي

صُورَةِ رَجُلٍ قَبِيحِ الوَجْهِ، مُنْتِنِ الرِّيحِ، قَبِيحِ الثِّيَابِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذِي جَاءَ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كُنْتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللهِ سَرِيعًا إِلَى مَعْصِيَةِ اللهِ».

قال عمرو في حديثه عن المنهال عن زاذان عن البراء ﷺ عن النبي ﷺ: «فَيُقَيَّضُ لَهُ أَصَمُّ أَبْكَمُ وَمَعَهُ مِرْزَبَةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ صَارَ تُرَابًا - أَوْ قَالَ: رَمِيمًا - فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا الخَلَائِقُ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى». لفظ أبي داود الطيالسي.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب اختلاف الآثار في سعة القبر على المؤمنين بالنسبة إلى أعمالهم

جاء في البخاري ومسلم[١]: «أَنَّه يُفْسَحُ لَهُ سَبْعُوْنَ ذِرَاعًا»[٢].

وفي الترمذي[٣]: «سَبْعُوْنَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِيْنَ ذِرَاعًا».

وفي حديث البراء[٤]: «مَدَّ البَصَرِ».

وخرج علي بن معبد عن معاذة قالت: «قلت لعائشة ﷺ: ألا تخبرينا عن مقبورنا ما يلقى وما يصنع به؟ فقالت: إن كان مؤمنًا فسح له في قبره أربعون ذراعًا».

**قلت**: وهذا إنما يكون بعد ضيق القبر والسؤال، وأما الكافر فلا يزال قبره عليه ضيقًا. نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة!

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) البخاري: (١٣٧٤)، مسلم: (٢٨٧٠).
(٢) وتقدم أن قوله: «سبعون ذراعا» من أفراد مسلم، دون البخاري.
(٣) الترمذي: (١٠٧١).
(٤) سبق تخريجه ص (٢٨).

## باب ما جاء في عذاب القبر وأنه حق وفي اختلاف عذاب الكافرين في قبورهم وضيقها عليهم

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤]، قال أبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: ﴿ضَنكًا﴾: «عذاب القبر».

وقيل في قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الطور: ٤٧] هو عذاب القبر؛ لأن الله ذكره عقب قوله: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ [الطور: ٤٥]، وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا، فدلَّ أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر، ولذلك قال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٧]؛ لأنه غيب، وقال عز وجل: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦]، فهو عذاب القبر في البرزخ، وسيأتي.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٣] ما ينزل عليكم من العذاب في القبر، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٤] في الآخرة إذا حلَّ بكم العذاب.

**فالأول**: في القبر، **والثاني**: في الآخرة، فالتكرير للحالتين.

وروى زِر بن حُبيش عن عليّ قال: «كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ١ - ٣] يعني: في القبور».

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «يُضيق على الكافر قبره حتى تختلف أضلاعه، وهو المعيشة الضنك».

## باب ما يكون في عذاب القبر واختلاف أحوال العصاة بحسب اختلاف معاصيهم

البخاري ومسلم[١]: عن ابن عباس ﷺ: مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ. فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين، ثم غرس على هذا واحدًا، وعلى هذا واحدًا، ثم قال: لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا».

البخاري[٢] عن سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ قال: فإن رأى أحد رؤيا قصّها، فيقول: مَا شَاءَ اللهُ. فسألنا يومًا فقال: هَل رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ قلنا: لا. قال: لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا حَتَّى يَعُودَ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدَخُ بِهَا رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إِلَى نقبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارٌ، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَوْا أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَم فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسَطِ النَّهرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى

---

(١) البخاري: (١٣٧٨)، مسلم: (٢٩٢).
(٢) البخاري: (١٣٨٦).

انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَة، وَأَدْخَلاَنِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ، وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، فِيهَا شُيُوخٌ، وَشَبَابٌ، قُلتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ.

قَالاَ: نَعَمْ، الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ. وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ الله القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَل فِيهِ بِالنَّهَارِ، فَيُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ. وَأَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَالصِّبْيَانُ، حَوْلَهُ، فَأَوْلاَدُ النَّاسِ وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، وَالدَّارُ الأُولَى؛ دَارُ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالاَ: ذَاكَ مَنْزِلُكَ، قُلتُ: دَعَانِي أَدْخُل مَنْزِلِي، قَالاَ: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلهُ فَلَوِ اسْتَكْمَلتَهُ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ».

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: لا أبين في حال المعذبين في قبورهم من حديث البخاري هذا، وإن كان منامًا فمنامات الأنبياء عليهم السلام وحيٌ؛ بدليل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ فأجابه ابنه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ [الصافات: ١٠٢].

## باب ما جاء في التعوذ من عذاب القبر وفتنته

النسائي[١] عن عائشة ﵂ قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود وهي تقول: إنكم تفتنون في القبور؛ فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «**إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ**». قالت عائشة: فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ﷺ: «**هَل شعرت أَنَّه أوحي إِلَيّ أنكم تفتنون في القبور**». قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يستعيذ من عذاب القبر.

وخرّج البخاري[٢] عن أبي هريرة ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ!**»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًّا أخرجها الأثبات الثقات.

▪▣▪▣▪

## باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال

مسلم[٣] عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب ﵁ حدَّث عن أهل بدر فقال: «إن رسول الله ﷺ كان يُرينا مصارع أهل بدر بالأمس، يقول: هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله. قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطئوا الحدودَ التي حدَّ رسولُ الله ﷺ، قال: فجُعلوا في بئر، بعضهم على بعض، فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: «**يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ هَل وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللهُ حَقًّا!**». قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها؟ قال: «**مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ! غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا**».

▪▣▪▣▪

---

(١) النسائي: (٢٠٦٤)، مسلم: (٥٨٤).
(٢) البخاري: (١٣٧٧).
(٣) مسلم: (٢٨٧٣).

## فصل

صحَّت الأخبار عن النبي ﷺ في عذاب القبر على الجملة، فلا مطعن فيها ولا معارض لها.

وجاء فيما تقدم من الآثار: أن الكافر يُفتن في قبره، ويُسأل ويُهان ويُعذب.

قال أبو محمد عبد الحق: «واعلم أن عذاب القبر ليس مختصًّا بالكافرين، ولا موقوفًا على المنافقين، بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين، وكلٌّ على حاله من عمله، وما استوجبه بخطيئته وزَلَـلِهِ، وإن كانت تلك النصوص المتقدمة في عذاب القبر إنما جاءت في الكافر والمنافق».

وقال أبو عمر بن عبد البر في «كتاب التمهيد»: «الآثار الدالة تدلُّ على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق ممن كان في الدنيا منسوبًا إلى أهل القبلة ودين الإسلام ممن حقن دمه بظاهر الشهادة، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يُسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يُسأل عن هذا أهل الإسلام، والله أعلم، فيثبِّت الله الذين آمنوا، ويرتاب المبطلون».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما يُنجي من أهوال القبر وفتنته وعذابه

روى مسلم[1] عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ**».

فالرِّباط من أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت.

والرِّباط يُضاعَف أجرُهُ لصاحبه إلى يوم القيامة؛ لقوله ﷺ: «**وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ**».

---

(١) مسلم: (١٩١٣).

وخرَّج ابن ماجه في سننه[١]، عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ الله أَجْرَى عَلَيْهِ أَجْرَ عَمَلِهِ الصَّالِحِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَأَمِنَ مِنَ الفَتَّانِ، وَبَعَثَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ آمِنًا مِنَ الفَزَعِ**».

**مسألة الرباط**: الملازمة في سبيل الله ﷻ، مأخوذ من ربط الخيل، ثم سُمِّي كل ملازم لثغرٍ مرابطًا فارسًا كان أو راجلًا.

وروى النسائي[٢] عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: أن رجلًا قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً!**».

وخرج النسائي[٣] عن جامع بن شداد قال: سمعت عبد الله بن يسار يقول: كنت جالسًا مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة، فذكروا أن رجلًا مات ببطنه فإذا هما يشتهيان أن يكونا شَهِدَا جنازته، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَقْتُلُهُ بَطْنُهُ لم يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ**».

وروى الترمذي[٤]عن ربيعة بن سيف، عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ الله فِتْنَةَ القَبْرِ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

---

(١) ابن ماجه: (٢٧٦٧)، النسائي: (٣١٦٧).
(٢) النسائي: (٢٠٥٣).
(٣) النسائي: (٢٠٥٢).
(٤) الترمذي: (١٠٧٤).

## باب ما جاء أن الميت يُعرض عليه مقعده بالغداة والعشي

البخاري ومسلم[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ إِلَى يَوْمَ القِيَامَةِ».

قوله: «عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ»، قال علماؤنا: وهذا ضرب من العذاب كثير، وعندنا المثال في الدنيا، وذلك كمن عرض عليه القتل أوغيره من آلات العذاب، أو من يهدد به من غير أن يرى الآلة، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه بكرمه ورحمته!

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء أن أرواح الشهداء في الجنة دون أرواح غيرهم

وفي صحيح مسلم[2] عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ القَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَل تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا! فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

---

(١) البخاري: (١٣٧٩)، مسلم: (٢٨٦٦).

(٢) مسلم: (١٨٨٧).

## باب كم الشهداء؟ ولمَ سمِّي شهيدًا؟ ومعنى الشهادة؟

النسائي[١] عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ سِوَى القَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَالحَرِقُ، وصَاحِبُ ذَاتِ الجَنْبِ، والذي يَمُوْتُ تَحْتَ الهَدْمِ، والمَرْأَة تَمُوْتُ بِجُمْعٍ**». قيل: هي التي تموت من الولادة وولدها في بطنها قد تمَّ خلقه. وقيل: إذا ماتت من النفاس فهي شهيدة، سواء ألقت ولدها وماتت أو ماتت وهو في بطنها. وقيل: التي تموت بكرًا لم يمسها الرجال. وقيل: التي تموت قبل أن تحيض وتطمث.

وفي كتاب الترمذي وأبي داود والنسائي[٢] عن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»، قال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وروى النسائي من حديث سويد بن مقرن ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلِمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[٣].

**والشهيد**: القتيل في سبيل الله، وسُمِّي بذلك لأنَّه مشهودٌ له بالجنة.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء أن الإنسان يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب

مسلم وابن ماجه[٤] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْم وَاحِد وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

---

(١) النسائي: (١٨٤٦)، أبو داود: (٣١١١)، أحمد: (٣٩/ ١٦٣).
(٢) الترمذي: (١٤٢١)، أبو داود (٤٧٧٢)، النسائي: (٤٠٩٥).
(٣) النسائي: (٤٠٩٦).
(٤) مسلم: (٢٩٥٥)، ابن ماجه: (٤٢٦٦)، البخاري: (٤٩٣٥).

يقال: عجم وعجب بالباء والميم، لغتان، وهو جزء لطيف في أصل الصلب. وقيل: هو رأس العصعص.

وقوله: «مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيْهِ يُرَكَّبَ» أي: أول ما خلق من الإنسان هو، ثم إن الله تعالى يبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارةً أخرى.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء ولا الشهداء وأنهم أحياء

قال الله تعالى: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ولذلك لا يغسلون ولا يُصلَّى عليهم، ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة في شهداء أُحُد وغيرهم.

وخرّج أبو داود وابن ماجه(١) في سننهما عن أوس بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**. قال: قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ (يقولون: بَلِيْت)؟ فقال: **إِنَّ الله ﷻ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام**» لفظ أبي داود. وقال ابن العربي: حديث حسنٌ.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في انقراض هذا الخلق وذكر النفخ والصعق وكم بين النفختين وذكر بعث البشر والنار

مسلم(٢) عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ الله تعالى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ** عليه السلام **كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ**

---

(١) أبو داود: (١٠٤٧)، ابن ماجه: (١٠٨٥، ١٦٣٦).
(٢) مسلم: (٢٩٤٠).

يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ﷻ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ! فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: فَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قال: فذاك يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] وذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]».

مسلم[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ** - قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ- **ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ، كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ**» قَالَ: «**وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا**».

في رواية[٢]: «**لَا تَأْكُلُهُ الأَرْضُ أَبَدًا**» وهو عَجْب الذَّنَب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة.

و«**أصغى**» معناه: أمال. «**ليتًا**» يعني: صفحة العنق. و«**يلوط**» معناه: يطين ويصلح.

وقول أبي هريرة ﷺ: «**أبيت**»:

---

(١) مسلم: (٢٩٥٥/ ١٤١).
(٢) مسلم: (٢٩٥٥/ ١٤٣).

**الأول**: أبيت أي: امتنعت من بيان ذلك وتفسيره، وعلى هذا كان عنده علم من ذلك وسمعه من رسول الله ﷺ.

**الثاني**: أبيت، أي: أبيت أن أسأل عن ذلك رسول الله ﷺ، وعلى هذا لم يكن عنده علم من ذلك.

والأول أظهر والله أعلم، وإنما لم يبينه لأنه لم يرهق إلى ذلك حاجة، ولأنه ليس من البينات والهدى الذي أمر بتبليغه.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب في قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]

صعق: مات.

واختلف العلماء في المستثنى من هو؟

فقيل: الملائكة. وقيل: الأنبياء. وقيل: الشهداء، واختاره الحَلِيمي قال: وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الاستثناء لأجل الشهداء؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وضُعّف غيرُه من الأقوال على ما يأتي.

وقال شيخنا أبو العباس: والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبرٌ صحيحٌ، والكلُّ محتملٌ.

قلت: وقد ورد حديث أبي هريرة بأنهم الشهداء، وهو صحيح.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب يفنى العباد ويبقى الملك لله وحده

البخاري ومسلم[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَطْوِي اللهُ السَّمَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ الجَبَّارُونَ! أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ!**» أخرجه مسلم[٢].

وعن عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ، قال: «**يَأْخُذُ اللهُ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ ثم يَبْسُطُهَا - فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ. حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى المِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ، حَتَّى إِنِّي أَقُولُ: أَسَاقِطٌ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ**»[٣].

هذه الأحاديث تدل على أن الله سبحانه يُفني جميعَ خلقِهِ أجمع كما تقدَّم، ثم يقول الله عز وجل: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ فيجيب عن نفسه المقدسة بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾. وقد قيل: إن المنادي ينادي بعد حشر الخلق على أرض بيضاء مثل الفضة، لم يُعص الله عليها على ما يأتي: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]؟ فيجيبه العباد: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾. رواه أبو وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه، واختاره أبو جعفر النحاس قال: «والقول صحيح عن ابن مسعود، وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل».

قال المؤلف رحمه الله: والقول الأول أظهر؛ لأن المقصود إظهار انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعاوي المدَّعِين وانتساب المنتسبين، إذ قد ذهب كل ملك وملكه، وكل جبار ومتكبر وملكه، وانقطعت نسبهم ودعاويهم، وهذا ظاهر، وهو قول الحسن ومحمد بن كعب، وهو مقتضى قوله الحق: «**أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ!**».

---

(١) البخاري: (٤٨١٢، ٦٥١٩، ٧٣٨٢)، مسلم: (٢٧٨٧).
(٢) مسلم: (٢٧٨٨).
(٣) مسلم: (٢٧٨٨).

## باب البرزخ

روى هناد بن السري قال: حدثنا محمد بن فضيل ووكيع عن فطر قال: سألتُ مجاهدًا عن قول الله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]؟ قال: «هو ما بين الموت إلى البعث».

وقيل للشعبي: مات فلان. قال: ليس هو في الدنيا ولا في الآخرة، هو في برزخ.

والبرزخ في كلام العرب: الحاجز بين الشيئين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفرقان: ٥٣] أي: حاجزًا، وكذلك هو في الآية: وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل في البرزخ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] أي: من أمامهم وبين أيديهم.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ذكر النفخ الثاني للبعث في الصور وكيفية البعث وبيانه وأول من تنشق عنه الأرض وأول من يحيى من الخلق وبيان السن الذي يخرجون عليه من قبورهم وفي لسانهم وبيان قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤]

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]، وسماه الله تعالى أيضًا بالناقور في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨].

قال المفسرون: الصور ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق على ما يأتي بيانه.

قال الله تعالى مخبرًا عن كفار قريش: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ [يس: ٤٩]، أي: ما ينتظر كفار آخر هذه الأمة الدائنون بدين أبي جهل وأصحابه، ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ يعني: النفخة الأولى التي يكون بها هلاكهم، ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]، أي: يختصمون في أسواقهم وحوائجهم، وقال تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿فَلَا

يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ [يس: ٥٠] أي: أن يُوصُوا، ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: من أسواقهم وحيث كانوا، ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ [يس: ٢٩]، ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١]، هذه النفخة الثانية نفخة البعث.

قال مجاهد: «هو كالبوق». ذكره البخاري. فإذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده، ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ أي: القبور، ﴿يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١] أي: يخرجون سراعًا، يقال: نسل يَنسل ويُنسل بالضم أيضًا: إذا أسرع في مشيته، فالمعنى يخرجون مسرعين.

وفي الخبر: «**أَنَّ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعِيْنَ عَامًا**»[١].

وفي البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾: الصور. قال: «والراجفة: النفخة الأولى. والرادفة: النفخة الثانية».

■ ▣ ■ ▣ ■

## فصل

الصور بالصاد: قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء، وهي نفخة الصعق، ويكون معها نقرٌ؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴾ [المدثر: ٨]، أي: في الصور، فإذا نفخ فيه للإصعاق جمع بين النفخ والنقر؛ لتكون الصيحة أهدّ وأعظم، ثم يمكث الناس أربعين عامًا، ثم ينزل الله ماء كمني الرجال على ما تقدم، فتكون منه الأجساد بقدرة الله تعالى، حتى يجعلهم بشرًا، كما رُوي في قصة الذين يخرجون من النار قد صاروا حممًا: أنهم يغتسلون من نهر بباب الجنة، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل. وعن ذلك عبر في حديث أبي هريرة ﷺ المتقدم في صحيح مسلم وغيره[٢]، فينبتون نبات البقل، فإذا تهيأت الأجسام وكملت نفخ في الصور نفخة البعث من غير نقر؛

---

(١) سبق تخريجه ص(٤٠).
(٢) مسلم: (١٨٢).

لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصور إلى أجسادها، لا تنقيرها من أجسادها، فالنفخة الأولى للتنقير، وهي نظير صوت الرعد الذي قد يقوى فيُماتُ منه، ونظير الصيحة الشديدة التي يصيحها الرجل على الرجل فيفزع منه فيموت، فإذا نفخ للبعث من غير نقر كما ذكرنا خرجت الأرواح من المجال التي هي فيه، فتأتي كل روح إلى جسده، فيحييها الله، كل ذلك في لحظة كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨]، ﴿وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨].

قال علماؤنا: والأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصُّوْر إسرافيل عليه السلام.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه في صفة البعث وما آية ذلك في الدنيا

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال سبحانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ [الروم: ٤٨- ٥٠]، وقال: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩]، والآي في هذا المعنى كثير.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب يُبعث كل عبد على ما مات عليه

مسلم[1] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ - وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا،**

(١) مسلم: (٢٨٧٨).

**اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، والعَرْفُ عَرف مِسْكٍ**»، خرَّجه البخاري ومسلم[١].

وفي التنزيل: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقالوا كلهم: يبعث كالمجنون؛ عقوبة له وتمقيتًا، عند جميع أهل المحشر. فجعل الله هذه العلامة لأكله الرِّبا، وذلك أنه أرباه في بطونهم فأثقلهم، فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون؛ لعظم بطونهم وثقلها عليهم. نسأل الله الستر والسلامة والعافية في الدنيا والآخرة!

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

## باب أين يكون الناس؟

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وخرج مسلم[٢] وابن ماجه[٣]، عن عائشة ﵂ قالت: سُئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأين يكون الناس يومئذ؟ قال: «**عَلَى الصِّرَاطِ**».

وخرّجه الترمذي[٤] عن عائشة ﵂ قالت: يا رسول الله، والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، فأين يكون المؤمنون يومئذ؟ قال: «**عَلَى الصِّرَاطِ يَا عَائِشَةُ**». قال: هذا حديث حسن صحيح.

هذه الأحاديث نص في أن السماوات والأرض تُبدَّل وتُزال ويخلق الله أرضًا أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط، لا كما قال كثير من الناس أن تبديل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها، وتسوية آكامها، ونسف جبالها ومد أرضها.

---

(١) البخاري: (٢٨٠٣)، مسلم: (١٨٧٦).
(٢) مسلم: (٢٧٩١).
(٣) ابن ماجه: (٤٢٧٩).
(٤) الترمذي: (٣٢٤٢).

## باب الحشر

ومعناه: الجمع. وهو على أربعة أوجه: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة.

أما الذي في الدنيا فقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]، قال الزهري: «كانوا من سبط لم يصبهم جلاءٌ، وكان الله ﷻ قد كتب عليهم الجلاء، فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا، وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلى الشام».

**والثاني**: ما رواه مسلم[1] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ، رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا**» وأخرجه البخاري أيضًا[2].

قال القاضي عياض: هذا الحشر في الدنيا قبل قيام الساعة وهو آخر أشراطها، كما ذكره مسلم[3] بعد هذا في آيات الساعة، قال فيه: «**وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ**». وفي رواية: «**تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»[4]، وفي حديث آخر: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ**»[5].

ويدل على أنها قبل يوم القيامة قوله: «**فتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا**».

**والحشر الثالث**: حشرهم إلى الموقف، قال الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

---

(١) مسلم: (٢٨٦١).
(٢) البخاري: (٦٥٢٢).
(٣) مسلم: (٢٩٠١/ ٤٠).
(٤) مسلم: (٢٩٠١/ ٣٩).
(٥) مسلم: (٢٩٠٢).

**والرابع**: حشرهم إلى الجنة والنار، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، أي: ركبانًا على النُّجُب، وقيل: على قدر الأعمال.

وسُمِّي المتقون وفدًا لأنهم يسبقون الناس إلى حيث يدعون إليه، فهم لا يثبطون، لكنهم يحدون ويسرعون، والملائكة تتلقاهم بالبشارات كما قال الله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]، أي: عطاشًا، وقال: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

مسلم[1] عن أنس أن رجلًا قال: يا رسول الله، الذين يحشرون على وجوههم أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ!**»، قال قتادة حين بلغه: بلى وعزة ربنا. أخرجه البخاري أيضًا[2].

■ ▣ ■ ▣ ■

## باب بيان الحشر إلى الموقف كيف هو وفي أرض المحشر

**وقوله تعالى**: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١].

قال قتادة: «المنادي هو: صاحب الصور، ينادي من الصخرة من بيت المقدس».

قال عكرمة: «ينادي منادي الرَّحمن وكأنما ينادي في آذانهم: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ٤٢] يريد: النفخ في الصور، ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق: ٤٤] إلى المنادي صاحب الصور، إلى بيت المقدس أرض المحشر، ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]، أي: هين سهل».

مسلم[3] عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ**».

---

(١) مسلم: (٢٨٠٦).
(٢) البخاري: (٤٧٦٠، ٦٥٢٣).
(٣) مسلم: (٢٧٩٠).

## باب ما جاء في حشر الناس إلى الله ﷻ حفاة عراة غرلاً وفي أول من يكسى منهم، وفي أول ما يتكلم من الإنسان

مسلم[١] عن ابن عباس ﵄ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧ -١١٨]، فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُدْبِرِيْنَ مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ». أخرجه البخاري أيضًا[٢].

قوله: «غرلًا» أي: غير مختونين.

وقوله: «أول من يُكسى إبراهيم» فضيلة عظيمة لإبراهيم وخصوص له، كما خُص موسى ﵇ بأن النبي ﷺ يجده متعلقًا بساق العرش مع أن النبي ﷺ أول من تنشق عنه الأرض، ولا يلزم من هذا أن يكونا أفضل منه مطلقًا، بل هو[٣] أفضل من وَافَى القيامة.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه وبيان قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]

مسلم[٤] عن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا». قلت: يا رسول الله، الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».

---

(١) مسلم: (٢٨٦٠).
(٢) البخاري: (٤٦٢٥).
(٣) أي نبينا محمد ﷺ.
(٤) مسلم: (٢٨٥٩).

**قلت**: هذا الباب والذي قبله يدلُّ على أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلًا، أي: غير مختونين، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

قال العلماء: يحشر العبد غدًا وله من الأعضاء ما كان له يوم وُلِدَ، فمن قُطع منه عضو يُرَدُّ في القيامة عليه حتَّى الختان.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب قول النبي ﷺ من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، وفي أسماء يوم القيامة

الترمذي[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ فَلْيَقْرَأْ**: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾». قال: هذا حديث حسن.

**قلت**: إنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة لما فيها من انشقاق السماء وانفطارها، وتكور شمسها، وانكدار نجومها، وتناثر كواكبها، إلى غير ذلك من أفزاعها وأهوالها، وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم، بعد نشر صحفهم، وقراءة كتبهم، وأخذها بأيمانهم وشمائلهم، أو من وراء ظهورهم في موقفهم، فهو يوم الانشقاق، ويوم الانفطار، ويوم التكوير، ويوم الانكدار، ويوم الانتثار، ويوم التسيير، قال الله تعالى: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ١٠] مثل: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣] ويوم التعطيل، ويوم التسجير، ويوم التفجير، ويوم الكشط، والطي، ويوم المدِّ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣]، إلى غير ذلك من أسماء القيامة:

○ **ومنها**: الساعة، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: ١٢].

○ **ومنها**: القيامة، قال الله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١].

---

(١) الترمذي: (٣٣٣٣).

○ **ومنها**: يوم النفخ، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

○ **ومنها**: يوم الزلزلة ويوم الراجفة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦ – ٧].

○ **ومنها**: القارعة، سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

○ **ومنها**: يوم البعث.

○ **ومنها**: يوم النشور وهي عبارة عن الإحياء، يقال: أنشر الله الموتى فنشروا، أي أحياهم الله فحيوا.

○ **ومنها**: يوم الخروج، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾ [المعارج: ٤٣]، فأوله الخروج من القبور، وآخره خروج المؤمنين من النار، ثم لا خروج ولا دخول.

○ **ومنها**: يوم الحشر، وهو عبارة عن الجمع.

○ **ومنها**: يوم العرض، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨]. وحقيقته: إدراك الشيء بإحدى الحواس ليعلم حاله.

○ **ومنها**: يوم الجمع، وحقيقته في العربية: ضم واحد إلى واحد فيكون شفعًا، أو زوجًا إلى زوج فيكون جمعًا، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ﴾ [التغابن: ٩].

○ **ومنها**: يوم الفزع، وفي التنزيل: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

○ **ومنها**: يوم التناد، بتخفيف الدال من النداء، وتشديدها من النّد إذا ذهب. وهو الذي يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر: ٣٢ – ٣٣].

○ **ومنها**: يوم الواقعة: وأصل (وقع) في كلام العرب: كان ووجد، وجاءت الشريعة في تأكيد ذلك بثبوت ما وجد.

○ **ومنها**: الخافضة والرافعة، أي: ترفع قومًا في الجنة، وتحطُّ آخرين في النار.

○ **ومنها**: يوم الحساب، ومعناه: أن الباري سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة، ويعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض، فما يشف منها على الآخر حكم للمشفوف بحكمه الذي عينه للخير بالخير وللشر بالشر.

○ **ومنها**: يوم السؤال، والباري سبحانه يسأل الخلق في الدنيا والآخرة؛ تقريرًا لإقامة الحجة، وإظهارًا للحكمة.

○ **ومنها**: يوم الشهادة، ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

○ **ومنها**: يوم الحاقة، وسميت بذلك لأن الأمور تحق فيها.

○ **ومنها**: يوم الطامة، ومعناها: الغالبة.

○ **ومنها**: يوم الصاخة، قال عكرمة: «**الصاخة**: النفخة الأولى. **والطامة**: النفخة الثانية».

○ **ومنها**: يوم الوعيد، وهو أن الباري سبحانه وتعالى أمر ونهى، ووعد وأوعد، فهو أيضًا يوم الوعد، والوعد: للنعيم، والوعيد: للعذاب الأليم. وحقيقة الوعيد هو: الخبر عن العقوبة عند المخالفة. والوعد: الخبر عن المثوبة عند الموافقة.

○ **ومنها**: يوم الدين، وهو في لسان العرب: الجزاء.

○ **ومنها**: يوم الجزاء، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧].

○ **ومنها**: يوم التَّلاق، قال الله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

○ **ومنها**: يوم الآزفة، تقول العرب: أزف كذا، أي: قرب.

○ **ومنها**: يوم المآب، ومعناه: الرجوع إلى الله تعالى.

○ **ومنها**: يوم المصير، وهو يوم المآب بعينه، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [النور: ٤٢].

○ **ومنها**: يوم القضاء، وهو أيضًا يوم الحكم والفصل.

○ **ومنها**: يوم الوزن، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨].

○ **ومنها**: يوم عقيم، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يومٌ وُصِفَ بالعقيم.

○ **ومنها**: يوم عسير، وهذا في حق الكافرين خاصة، والعسر ضد اليسر.

○ **ومنها**: يوم مشهود، وسمِّي بذلك لأنه يشهده كل مخلوق، وقيل: سمِّي بذلك لأن الشهداء يشهدون فيه.

○ **ومنها**: يوم التغابن، سمي بذلك لأن الناس يتغابنون في المنازل عند الله: فريق في الجنة، وفريق في السعير. وحقيقته في لسان العرب: ظهور الفضل في المعاملة لأحد المتعاملين.

○ **ومنها**: يوم الغاشية، سميت بذلك لأنها تَغْشَى النَّاسَ بإفزاعها، أي: تعمّهم بذلك.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما ينجي من أهوال يوم القيامة وكربها

مسلم(١) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ**».

وقد ينجي منها كلها ما ثبت في صحيح مسلم(٢) عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ**»، **قَالَ: قَالَ اللهُ ﷻ: أَنَا أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ؛ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي**».

---

(١) مسلم: (٢٦٩٩).
(٢) مسلم: (١٥٦١).

وخرّج[١] عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا مَاتَ، فَدَخَلَ الجَنَّةَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْمَلُ؟ - قَالَ: فَإِمَّا ذَكَرَ وَإِمَّا ذُكِّرَ- فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، فَكُنْتُ أُنْظِرُ المُعْسِرَ، وَأَتَجَوَّزُ فِي السِّكَّةِ - أَوْ فِي النَّقْدِ - فَغُفِرَ لَهُ**»، وقال ابن مسعود: «وأنا سمعته من رسول الله ﷺ» رواه مسلم من طرق، وخرَّجه البخاري[٢].

وروى مسلم[٣] عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه طلب غريمًا له فتوارى عنه ثم وجده، فقال: إني معسر. قال: آلله؟ قال: الله. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ**».

وعن أبي اليَسَرِ - واسمه كعب بن عمرو - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ**». خرجه مسلم[٤].

وروى الأئمة عن رسول الله ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ ﷻ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[٥]. معنى «في ظله» أي: في ظل عرشه، وقد جاء هكذا مفسرًا في الحديث.

وفي التنزيل تحقيقًا لهذا الباب وجامعًا له قولُهُ الحق: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ إلى قوله: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾ [الإنسان: ٧ - ١١]، مع قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، مع قوله في غير موضع بعد ذكر الأعمال الصالحة: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

---

(١) مسلم: (١٥٦٠).
(٢) البخاري: (٢٠٧٧).
(٣) مسلم: (١٥٦٣).
(٤) مسلم: (٣٠٠٦).
(٥) البخاري: (٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦)، مسلم: (١٠٣١).

## باب في الشفاعة العامة لنبينا ﷺ لأهل المحشر

مسلم(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أُتي رسول الله ﷺ يومًا بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهش منها نهشة، فقال: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَل تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ نُوحٌ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَن يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى. فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ

(١) مسلم: (١٩٤).

مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ. فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ الله، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ. فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ الله، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ قَالَ: **يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي!** فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ **النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ**. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».
وفي البخاري[1]: «كما بين مكة وحِمْيَر».

▪▣▪▣▪

## فصل

هذه الشفاعة العامة التي خُصَّ بها نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء هي المراد بقوله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي**»[2].

وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي لتعجيل حسابهم، ويراحوا من هول الموقف، وهي الخاصة به ﷺ.

---

(١) البخاري: (٤٧١٢).
(٢) مسلم: (١٩٩).

وقوله: «**فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي!**»: اهتمام بأمر أمته، وإظهار محبته فيهم، وشفقته عليهم. وقوله: «**فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ**»: يدل على أنه شفع فيما طُلِبَ من تعجيل الحساب لأهل الموقف، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع في حساب مَنْ عليه حساب من أمته وغيرهم، وكان طلب هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم؛ حتى يظهر في ذلك اليوم مقام نبيه محمد ﷺ المحمود الذي وعده، ولذلك قال كل نبي: «**لَسْتُ لَـهَا، لَسْتُ لَـهَا**»، حتى انتهى الأمر إلى محمد ﷺ فقال: «**أَنَا لَـهَا**».

وروى مسلم[1] عن قتادة عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ** - وفي رواية: **فَيُلْهَمُونَ** - **فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ**... وذكر الحديث».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء أن هذه الشفاعة هي المقام المحمود

الترمذي[2] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلاَ فَخْرَ، قَالَ: فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلاَثَ فَزَعَاتٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُونَا فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَأُهْبِطْتُ بِهِ إِلَى الأَرْضِ وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: إِنِّي دَعَوْتُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ دَعْوَةً فَأُهْلِكُوا، وَلَكِنْ اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْهَا كَذِبَةٌ إِلَّا مَا حَلَّ بِهَا عَنْ دِينِ اللهِ. وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي عُبِدْتُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا، قَالَ:

---

(١) مسلم: (١٩٣).
(٢) الترمذي: (٣١٤٨).

فَيَأْتُونَ فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ، قَالَ ابْنُ جُدْعَانَ: قَالَ أَنَسٌ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: فَآخُذُ بِحَلقَةِ بَابِ الجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ فَيَفْتَحُونَ لِي، وَيُرَحِّبُونَ، فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا، فَأَخِرُّ سَاجِدًا، فَيُلْهِمُنِي مِنَ الثَّنَاءِ وَالحَمْدِ، فَيُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَل تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَقُل يُسْمَعْ لِقَوْلِكَ. **وَهُوَ المَقَامُ المَحْمُودُ الَّذِي قَالَ الله فِيهِ:** ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قَالَ سُفْيَانُ: لَيْسَ عَنْ أَنسٍ، إِلَّا هَذِهِ الكَلِمَةُ. فَآخُذُ بِحَلقَةِ بَابِ الجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا». قال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ».

وفي البخاري[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا تَقُولُ: يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ الله المَقَامَ المَحْمُودَ».

وروى الترمذي[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، سئل عنها قال: «**هِيَ الشَّفَاعَةُ**». قال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

قوله: «**فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلاَثَ فَزَعَاتٍ**»: إنما ذلك - والله أعلم - حين يُؤتى بالنار تُجر بأزمَّتها، وذلك قبل العرض والحساب على الملك الديَّان.

ثم تزفر الثانية فازداد الرعب والخوف في القلوب، ثم تزفر الثالثة فتتساقط الخلق لوجوههم، ويشخصون بأبصارهم، وهم ينظرون من طرف خفي؛ خوفًا أن تبلغهم أو يأخذهم حريقُهَا. أجارنا الله منها!

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) البخاري: (٤٧١٨).
(٢) الترمذي: (٣١٣٧).

## فصل

إذا ثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء عليهم السلام حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ، فيشفع هذه الشفاعة العامة لأهل الموقف مؤمنهم وكافرهم؛ ليراحوا من هول موقفهم- فاعلم أن العلماء اختلفوا في شفاعاته، وكم هي؟

وقال القاضي عياض: «شفاعات نبينا ﷺ يوم القيامة خمس شفاعات:

**الأولى**: العامة.

**الثانية**: إدخال قوم الجنة بغير حساب.

**الثالثة**: في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا ﷺ، ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة.

**الرابعة**: فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا محمد ﷺ وغيره من الأنبياء، والملائكة وإخوانهم المؤمنين.

**الخامسة**: في زيادات الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها.

**قلت**: وشفاعة سادسة لعمّه أبي طالب في التخفيف عنه، كما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»[(١)].

■ ▣ ■ ▣ ■

## باب من أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة

البخاري[(٢)] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**».

---

(١) مسلم: (٢١٠).
(٢) البخاري: (٩٩، ٦٥٧٠).

## باب ما جاء في تطاير الصحف عند العرض والحساب وإعطاء الكتب باليمين والشمال، ومن أول من يأخذ كتابه في هذه الأمة بيمينه ومن نُوقش عُذِّبَ

البخاري[١] عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ، عُذِّبَ**»، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨]؟ فقال: «**لَيْسَ ذَلِكِ الحِسَابُ، إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُذِّبَ**». وأخرجه مسلم[٢].

أبو داود[٣] عن عائشة ﵂ قالت: «ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله ﷺ: **مَا يُبْكِيْكِ**؟ قلت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: **أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ المِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ تَطَايُرِ الصُّحُفِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ فِي يَمِيْنِهِ أَوْ فِي شِمَالِهِ أَمْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ حَتَّى يَجُوْزَ**».

قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: ١٣]، قال الزجاج: «ذكر العنق عبارة عن اللزوم، كلزوم القلادة للعنق».

وقال إبراهيم بن أدهم: «كل آدمي في عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله، فإذا مات طُويت، فإذا بُعث نُشِرَتْ، وقيل له: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

وقال ابن عباس ﵄ طائره: عمله، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤].

قال الحسن: «يقرأ الإنسان كتابه أميًّا كان أو غير أمي».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

---

(١) البخاري: (١٠٣).
(٢) مسلم: (٢٨٧٦).
(٣) أبو داود: (٤٧٥٥).

## باب ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣]، وقال: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧] أي: بما عملتموه، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨]، أي: يُسأل عن ذلك ويجازى عليه، والآي في هذا المعنى كثيرة. وقال: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

عن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ عَمِلَ بِهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟**»[(١)].

مسلم[(٢)] عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر ﷺ: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «**يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَل تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فيقول: فَإِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، قال: فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ**».

وأخرجه البخاري[(٣)] وقال في آخره: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) الترمذي: (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح.
(٢) مسلم: (٢٧٦٨).
(٣) البخاري: (٢٤٤١، ٤٦٨٥).

## باب ما جاء أن الله تعالى يكلم العبدَ ليس بينه ترجمان

مسلم[١] عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

زاد ابن حُجْر: قال الأعمش: وحدثني عمرو بن مرة عن خيثمة عن عدي مثله وزاد فيه: «ولو بكلمة طيبة». خرجه البخاريُ[٢].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب القصاص يوم القيامة ممن استطال في حقوق الناس وفي حبسه لهم حتى ينتصفوا منه

مسلم[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ».

البخاري[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَلَّا يكونَ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صالحٌ أُخِذَ مِنْهُ بقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَناتٌ أُخِذَ مَنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ».

مسلم[٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُوْنَ مِنْ الْمُفْلِس؟ قالوا: «المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ

---

(١) مسلم: (١٠١٦).
(٢) البخاري: (٧٥١٢).
(٣) مسلم: (٢٥٨٢).
(٤) البخاري: (٦٥٣٤).
(٥) مسلم: (٢٥٨١).

هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ انْقِضَاءِ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

وإذا تقرر هذا فيجب على كل مسلم: البدار إلى محاسبة نفسه كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا».

وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحًا، ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله ﷻ، ويرد المظالم حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسطوته بقلبه ويطيب قلوبهم؛ حتى يموت ولم تقبل عليه فريضة ولا مظلمة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، فإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلبته، وهذا يقول: ظلمتني. وهذا يقول: شتمتني. وهذا يقول: استهزأت بي. وهذا يقول: ذكرتني في الغيبة بما يسوؤني. وهذا يقول: جاورتني فأسأت جواري. وهذا يقول: عاملتني فغششتني. وهذا يقول: بايعتني فأخفيت عني عيب متاعك. وهذا يقول: كذبت في سعر متاعك. وهذا يقول: رأيتني محتاجًا وكنت غنيًا فما أطعمتني. وهذا يقول: وجدتني مظلومًا وكنت قادرًا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب أول ما يسأل عنه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس الدماء، وأول من يدعى للخصومة

مسلم[١] عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ». وخرّجه البخاري أيضًا[٢]، وللنسائي أيضًا عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ العَبْدُ: الصَّلاةُ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ: الدِّمَاءُ».

---

(١) مسلم: (١٦٧٨).
(٢) البخاري: (٦٥٣٣).

وخرج الترمذي[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ، قَتَلَنِي هَذَا! حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ**»، قال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

وروى أبو داود والترمذي والنسائي[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **مَا يُحَاسَبُ بِهِ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ، قَالَ: يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ أَنْقَصَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالَ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، قَالَ: أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ**»، لفظ أبي داود.

**قال علماؤنا:** أما إكمال الفريضة من التطوع فإنما يكون ذلك - والله أعلم - فيمن سهى عن فريضة فلم يأت بها أو لم يحسن ركوعها وسجودها ولم يدر قدر ذلك، وأما من تعمَّد تركها أو شيء منها ثم ذكرها فلم يأت بها عامدًا واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه وهو ذاكر له - فلا تكمل فريضته تلك من تطوعه، والله أعلم.

فينبغي للإنسان أن يحافظ على أداء فرضه، فيصليه كما أمر، من تمام الركوع والسجود وحضور القلب، فإن غفل عن شيء من ذلك فيجتهد بعد ذلك في نفله ولا يتساهل فيه ولا في تركه، ومن لا يحسن أن يصلي الفرض فأحرى ألَّا يحسن النفل، لا جرم، بل تنفل الناس في أشد ما يكون من النقصان والخلل من التمام؛ لخفة النفل عندهم، وتهاونهم به، ولعمر الله! لقد يشاهد في الوجود من يشار إليه ويظن به العلم تنفله كذلك! بل فرضه أن ينقر نقر الديك، فكيف بالجهال الذين لا يعلمون! وإذا كان هذا فكيف يكمل بهذا التنفل ما نقص من الفرض، هيهات هيهات!

فاعلموا أن الصلاة إذا كانت بهذه الصفة دخل صاحبها في معنى قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

---

(١) الترمذي: (٣٠٢٩).
(٢) أبو داود: (٨٦٤)، الترمذي: (٤١٣)، النسائي: (٤٦٥).

## باب ما جاء في شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما ولقائهما الله ﷻ

قال الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ [يس: ٦٥]، وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤]، وقال: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] الآية.

مسلم[١] عن أنس بن مالك ؓ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هَل تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: مِنْ مُخَاطَبَةِ العَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلم؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبالكِرَامِ الكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ!».

الترمذي[٢] عن أبي سعيد وأبي هريرة ؓ قالا: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ الله لَهُ: أَلَمْ أَجْعَل لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالاً وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ وَالحَرْثَ، وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلاقِي يَوْمَكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ لَهُ: اليَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي».

البخاري[٣] عن أنس بن مالك ؓ أن نبي الله ﷺ قال: «يُجَاءُ بِالكَافِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلءُ الأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ كُنْتَ سُئِلتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ».

وأخرجه مسلم[٤] وقال بدل «قَدْ كُنْتَ»: «كَذَبْتَ، قَدْ سُئِلتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

---

(١) مسلم: (٢٩٦٩).
(٢) الترمذي: (٢٤٢٨).
(٣) البخاري: (٦٥٣٨).
(٤) مسلم: (٢٨٠٥).

## باب ما جاء في سؤال الله تعالى الأنبياء وفي شهادة هذه الأمة للأنبياء على أممهم

قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦ – ٧]، وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]، فيبدأ بالأنبياء عليهم السلام: ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]، قيل في تفسيره: ما كانوا قد علموا لكن دهشت عقولهم، وعزبت أفهامهم، ونسوا من شدة الهول، وعظم الخطب، وصعوبة الأمر، فقالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، ثم يقربهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام ويقال: إن الهيبة تأخذ بمجامع قلوبهم فيذهلون عن الجواب، ثم إن الله يثبتهم ويحدث لهم ذكرًا فيشهدون بما أجابت به أممهم، ويقال: إنما قالوا ذلك تسليمًا، كما فعل المسيح عليه السلام في قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، والأول أصح؛ لأن الرسل يتفاضلون والمسيح من أجلِّهم؛ لأنه كلمة الله وروحه. قاله أبو حامد.

وخرج ابن ماجه[1] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَجِيْءُ النَّبِيُّ يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجلُ، ويَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فيقول له: هَل بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَل بَلَّغكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَل بَلَّغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عِلمُكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]»**.

وذكر البخاري أيضًا[2] بمعناه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَل بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَل بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ**

---

(١) ابن ماجه: (٤٢٨٤).
(٢) البخاري: (٤٤٨٧).

لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، فذلك قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في عقوبة مانع الزكاة وفضيحة الغادر والغال في الموقف وقت الحساب

مسلم[1] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلَا جَلْحَاءُ، وَلَا عَضْبَاءُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ... وذكر الحديث»، وأخرجه البخاري بمعناه[2].

---

(١) مسلم: (٩٨٧).

(٢) البخاري: (١٤٠٢).

وروى البخاري[1] مرفوعًا عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلاَ:** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠]» الآية.

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ**»[2].

وهذه الفضيحة التي يوقعها الله تعالى بالغال ومانع الزكاة نظير الفضيحة التي يوقعها بالغادر، وجعل الله تعالى هذه المعاقبات حسب ما يعهده البشر ويفهمونه.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه وذكر الولاة

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَفُكُّهُ اللهُ بِعَدْلِهِ، أَوْ يُوبِقُهُ بِجُرْمِهِ**»[3].

وروى الأئمة[4] عن أبي حميد الساعدي ﷺ عن النبي ﷺ أنه استعمل رجلًا من الأسد، يقال له: «ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ» على الصدقة، فجاء فقال: هذا لكم، وهذا أهدي لي. فقام النبي ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**مَا بَالُ العَامِلِ نَبْعَثُهُ فَيَجِيءُ فَيَقُولُ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرَ أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لَا؟ لَا يَأْتِي أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا فَلَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً فَلَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ.** ثم رفع يديه حتى رأينا عُفْرَتي إبطيه، ثم قال: **اللهمَّ هَل بَلَّغْتُ ؟ اللهمَّ هَل بَلَّغْتُ**»؟

---

(١) البخاري: (١٤٠٣).
(٢) مسلم: (١٧٣٥)، البخاري: (٦١٧٧).
(٣) أحمد: (٣٧/ ٤٤٤).
(٤) البخاري: (٦٩٧٩)، مسلم: (١٨٣٢).

وروى أبو داود[١] عن بريدة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في حوض النبي ﷺ في الموقف وسعته وكثرة أوانيه وذكر أركانه ومن عليها

ذهب صاحب «القوت» وغيره إلى أن حوض النبي ﷺ إنما هو بعد الصراط، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين:

**أحدهما**: في الموقف قبل الصراط.

**والثاني**: في الجنة.

وكلاهما يُسمَّى كوثرًا، على ما يأتي، والكوثر في كلام العرب: الخير الكثير.

واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر؟

فقيل: الميزان قبل، وقيل: الحوض، قال أبو الحسن القابسي: «والصحيح أن الحوض قبلُ».

**قلت**: والمعنى يقتضيه؛ فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم كما تقدم، فيقدم قبل الميزان والصراط، والله أعلم.

وقد روى البخاري[٢] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ عَلَى الحَوْضِ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَالله، قُلتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ قَدْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ أُخْرَى، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ لهم: هَلُمَّ. فَقُلْتُ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَالله. قُلتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قال: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ. فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ**».

---

(١) أبو داود (٢٩٤٣).

(٢) البخاري: (٦٥٨٧).

**قلت:** فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط؛ لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه، فمن جاز عليه سلم من النار، وكذا حياض الأنبياء عليهم السلام تكون أيضًا في الموقف.

مسلم[١] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**».

مسلم[٢] عن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: **نزلت علي آنفًا سورة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم:** ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣]، **ثم قال: أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ** ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: **فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: يا رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيُقَالُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ**».

وفي رواية أخرى: «**مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ**».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وزواياه سواء، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الورق، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، كِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»، أخرجه البخاري[٣].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) مسلم: (٢٣٠٠).
(٢) مسلم: (٤٠٠).
(٣) البخاري: (٦٥٧٩).

## باب ذكر من يطرد عن الحوض

البخاري[١] عن النبي ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ، حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

مسلم[٢] عن أسماءَ بنتِ أبي بكر رضي الله عنهما، قَالَتْ: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي عَلَى الحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ».

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وكل من ارتدَّ عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله - فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدِّلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر الـمُسْتَخِفُّونَ بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والبدع والأهواء.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ في الجنة

البخاري[٣] عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ في الجنة، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ».

الترمذي[٤] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ». قال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

---

(١) البخاري: (٦٥٨٢).
(٢) مسلم: (٢٢٩٣).
(٣) البخاري: (٦٥٨١).
(٤) الترمذي: (٣٣٦١).

## أبواب الميزان

## باب ما جاء في الميزان وأنه حق

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦ - ٩].

وقال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية.

وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦ - ٩].

وقال: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ الآيتين في الأعراف والمؤمنون.

وهذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكفار؛ لأن عامة المعنيين بقوله: ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ في هذه الآيات هم الكفار، وقال في سورة المؤمنين: ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥]، وفي الأعراف: ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]، وقال: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾، وهذا الوعيد بإطلاقه للكفار، وإذا جمع بينه وبين قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ثبت أن الكفار يُسألون عما خالفوا فيه الحق من أصل الدين وفروعه إذا لم يسألوا عما خالفوا فيه أصل دينهم من ضروب تعاطيهم ولم يحاسبوا به ولم يعتد بها في الوزن أيضًا، فإذا كانت موزونة دل على أنهم يحاسبون بها وقت الحساب، وفي القرآن ما يدل على أنهم مخاطبون بها، مسؤولون عنها، محاسبون بها، مجزيون على الإخلال بها؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦ - ٧] فتوعدهم على

منعهم الزكاة وأخبر عن المجرمين أنه يقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ الآية [المدثر: ٤٢]، فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان بالبعث وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأنهم مسؤولون عنها، محاسبون بها، مجزيون على الإخلال بها.

وفي البخاري[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، واقرؤوا إن شئتم:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]».

قال العلماء: معنى هذا الحديث أنه لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب، فلا حسنة لهم تُوزن في موازين القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار.

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «يُؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئًا».

وقيل: يحتمل أن يريد المجاز والاستعارة، كأنه قال: فلا قدر لهم عندنا يومئذ، والله أعلم.

وفيه من الفقه ذم السمن لمن تكلفه؛ لما في ذلك من تكلف المطاعم والاشتغال بها عن المكارم، بل يدل على تحريم كثرة الأكل الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن».

■ ▣ ■ ▣ ■

## باب منه وبيان كيفية الميزان ووزن الأعمال فيه ومن قضى لأخيه حاجة

الترمذي[2] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الله سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ:**

(١) البخاري: (٤٧٢٩).
(٢) الترمذي: (٢٦٣٩).

بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَأَنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَيُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ».
قال: «حديث حسنٌ غريبٌ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: الناس في الآخرة ثلاث طبقات:

متَّقون لا كبائر لهم.

ومخلِّطون وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر.

والثالث: الكفار.

«فأما المتقون فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، وصغائرهم إن كانت لهم في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنًا، وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي».

وأما المخلّطون فحسناتهم توضع في الكفة النيرة، وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فيكون لكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة[1] دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار إلا أن يعفو الله، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف على ما يأتي، هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين الله تعالى، وأما إن كانت عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات، لكثرة ما عليه من التبعات، فيحمل عليه من أوزار من ظلمه، ثم يعذب على الجميع، هذا ما تقتضيه الأخبار على ما تقدم ويأتي.

---

(١) بصؤابة: **الصؤابة**: بيضة القمل والبرغوث. والمراد: الشيء الحقير.

وقال سفيان الثوري: «إنك أن تلقى الله بسبعين ذنبًا فيما بينك وبين الله أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد».

**قلت:** هذا صحيح؛ لأن الله غني كريم، وابن آدم فقير مسكين يحتاج في ذلك اليوم إلى حسنة يدفع بها سيئة إن كانت عليه؛ حتى يرجح ميزانه؛ فيكثر خيره وثوابه.

وأما الكافر فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة، ولا توجد له حسنة توضع في الكفة الأخرى، فتبقى فارغة لفراغها، وخلوها عن الخير، فيأمر الله تعالى بهم إلى النار، ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه.

وأما المتقون فإن صغائرهم تكفر باجتنابهم الكبائر، ويؤمر بهم إلى الجنة، ويُثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وطاعاته، فهذان الصنفان هم المذكوران في القرآن في آيات الوزن؛ لأن الله تعالى لم يذكر إلا من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه، وقطع لمن ثقلت موازينه بالإفلاح والعيشة الراضية، ومن خفت موازينه بالخلود في النار بعد أن وصفه بالكفر، وبقي الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، بيَّنهم النبي ﷺ حسب ما ذكرنا.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب إذا كان يوم القيامة تتبع كل أمة ما كانت تعبد فإذا بقي في هذه الأمة منافقوها امتحنوا وضرب الصراط

خرج مسلم[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هَل تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟** قالوا: لا يا رسول الله. قال: **هَل تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟** قالوا: لا. قال: **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا**

(١) مسلم: (١٨٢)، البخاري: (٨٠٦).

فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُجَازَى حَتَّى يُنَجَّا».

قوله: «**لا تضارون**»: من الضر المشدد.

والمعنى: أن أهل الجنة إذا امتنَّ الله تعالى عليهم برؤيته – سبحانه وتعالى – تجلَّى لهم ظاهرًا، بحيث لا يحجب بعضهم بعضًا، ولا يضره ولا يزاحمه ولا يجادله كما يفعل عند رؤية الهلال، بل كالحال عند رؤية الشمس والقمر ليلة تمامه.

و«**الكلاليب**»: جمع كَلُّوب. والسعدان: نبت كثير الشوك.

## باب كيفية الجواز على الصراط وصفته ومن يحبس عليه ويزل وفي شفقة النبي ﷺ على أمته عند ذلك، وفي ذكر القناطر قبله والسؤال عليها وبيان قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]

ذكر مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «**فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ وَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَيَقُومَانِ بِجَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُهُمْ كَالبَرْقِ**

---

(١) مسلم: (١٩٥).

الخَاطِفِ، قال: قلت بأبي أنت وأمي، أي شيء كمر البرق؟ قال: **أَلَمْ تَرَ إِلَى البَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ! حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ العِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، قَالَ: وَفِي حَافَتَي الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِأَخْذِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمُكَرْدَسٌ فِي النَّارِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِينَ خَرِيفًا**».

ورُوي أيضًا من حديث حذيفة.

وذكر مسلم[1] أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ عن النبي ﷺ، وفيه: «**ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُ سَلِّمْ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ!** وقيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: **دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ العَيْنِ، وَكَالبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمُكَرْدَسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ...**» الحديث.

وفي رواية قال أبو سعيد: «**بلغني أن الجسر أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف**».

فتفكر الآن فيما يحل بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أنك تمشي على الصراط، مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض فضلًا على حدة الصراط!

وكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسستَ بحدَّته واضطررت إلى أن ترفع القدم الثاني، والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون وتتناولهم زبانية النار

(١) مسلم: (١٨٣).

بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون فتستفل إلى جهة النار وجوههم، وتعلو أرجلهم!

فيا له من منظر ما أفظعه، ومرتقى ما أصعبه، ومجازًا ما أضيقه!

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في شعار المؤمنين على الصراط

وفي صحيح مسلم[1]: «وَنَبِيُّكُمْ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُوْلُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ!».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ثلاثة مواطن لا يخطئها النبي ﷺ لعظم الأمر فيها وشدته

الترمذي[2] عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة قال: **أَنَا فَاعِلٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى**. قال: فأين أطلبك؟ قال: «**أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**. قلت: فإن لم ألقك؟ قال: **فَاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ**. قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: **فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ مَوَاطِنَ**».

قال: هذا حديث حسن.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ذكر الصراط الثاني وهو القنطرة التي بين الجنة والنار

**اعلم - رحمك الله - أن في الآخرة صراطين:**

**أحدهما:** مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو يلتقطه عنق النار، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه - ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم - حُبسوا على صراط آخر خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد

---

(١) سبق تخريجه ص (٧٦).
(٢) الترمذي: (٢٤٣٣).

إن شاء الله؛ لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه، وأربى على الحسنات بالقصاص جُرْمُهُ.

روى البخاري[1] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**».

قلت: معنى «**يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ**»: أي: يخلصون من الصراط المضروب على النار، ودلَّ هذا على أن المؤمنين في الآخرة مختلفو الحال.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب من دخل النار من الموحدين مات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة

مسلم[2] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ فيجيء بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان يرعى بالبادية.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## فصل

هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية؛ لأنه أكَّدها بالمصدر، وذلك تكريمًا لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق، بخلاف الحيّ الذي هو من أهلها ومخلَّد فيها: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

---

(١) البخاري: (٦٥٣٥).
(٢) مسلم: (١٨٥).

وقد قيل: يجوز أن يكون إماتتهم عبارة عن تغييبه إياهم عن آلامها بالنَّوْم، ولا يكون ذلك موتًا على الحقيقة.

فإن قيل: فما معنى إدخالهم النار وهم فيها غير عالمين؟

قيل: يجوز أن يدخلهم تأديبًا لهم وإن لم يعذبهم فيها، ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها؛ عقوبة لهم كالمحبوس في السجون، فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن معه غلّ ولا قيد، والله أعلم.

وقوله: «ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ»: معناه: جماعات جماعات.

و«فَبُثُّوا»: فرقوا.

و«الحِبَّةِ»: بكسر الحاء، بذر البقول.

و«حَمِيلِ السَّيْلِ»: ما احتمله من غثاء وطين.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه في الشفعاء وذكر الجهنميين

ذكر مسلم[1] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وفيه بعد قوله «في نار جهنم»: **حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِيفَاءِ الحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خلقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ ﷻ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خلقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خلقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا،**

---

(١) مسلم: (١٨٥).

**ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا**

- وكان أبو سعيد الخدري ﷺ يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]-

**فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ المَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**- في البخاري: «بقيت شفاعتي»، بدل قوله «ولم يبق إلا أرحم الراحمين» - **فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ عَلَى أَفْوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟** فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية. قال: **فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**».

هذا الحديث بيِّنٌ في أن الإيمان يزيد وينقص، فإن قوله: «**أخرجوا من في قلبه مثقال دينار، نصف دينار، ذرة**»، يدل على ذلك، وقوله: «**من خير**»: يريد من إيمان.

البخاري[1] عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ: الجَهَنَّمِيِّينَ**».

(١) البخاري: (٦٥٥٩).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»، خرجه الترمذي[١].

وخرج ابن ماجه[٢] عن عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا خَيَّرَنِي رَبِّي اللَّيْلَةَ**؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: **فَإِنَّهُ خَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الجَنَّةَ، وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ**. قلنا: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها. قال: **هِيَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب يعرف المشفوع فيهم بأثر السجود وبياض الوجوه

قد تقدم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن المؤمنين يقولون: «**رَبَّنَا إِخْوَتنا، كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ**... وذكر الحديث»[٣].

وذكر مسلم[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه بعد قوله «ومنهم المجازى حتى ينجّى»: **حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ المَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مِنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**... وذكر الحديث».

---

(١) الترمذي: (٢٤٣٥).
(٢) ابن ماجه: (٤٣١٧).
(٣) سبق تخريجه ص(٨٠).
(٤) مسلم: (١٨٢).

وخرج[١] عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ قَوْمًا يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا، إِلَّا دَارَاتِ**[٢] **وُجُوهِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما يرجى من رحمة الله تعالى ومغفرته وعفوه يوم القيامة

قال الصنابحي: دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت، فقال: مهلًا، لِـمَ تبكي؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثًا واحدًا، وسوف أحدثكموه اليوم، وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ**» خرجه مسلم[٣].

وخرج مسلم[٤] عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأَرْضِ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ**».

وقال ابن مسعود: «لن تزال الرحمة بالناس، حتى إن إبليس ليهتزّ صدرُهُ يومَ القيامة مما يرى من رحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) مسلم: (١٩١).
(٢) دارات وجوههم: ما يحيط بالوجه من جوانبه. ومعناه: أن النار لا تأكل دارة الوجه؛ لكونها محل السجود.
(٣) مسلم: (٢٩).
(٤) مسلم: (٢٧٥٣).

## باب حُفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

مسلم[١] عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»، وخرجه البخاري أيضًا[٢].

الترمذي[٣] عن أبي هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا**». قال أبو عيسى: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

### فصل

**المكاره**: كل ما يشقُّ على النفس فعلُهُ، ويصعبُ عليها عملُهُ، كالطهارة في السّبْرات، وغيرها من أعمال الطاعات، والصبر على المصائب والمصيبات وجميع المكروهات.

**والشهوات**: كل ما يوافق النفسَ ويلائمُهَا، وتدعُو إليه ويوافقها.

**وأصل الحفاف**: الدائر بالشيء المحيط به، الذي لا يتوصل إليه إلا بعد أن يُتَخطَّى. فمثّل النبي ﷺ المكاره والشهوات بذلك، فالجنة لا تُنَال إلا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها، والنار لا يُنجى منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها.

---

(١) مسلم: (٢٨٢٢).
(٢) البخاري: (٦٤٨٧).
(٣) الترمذي: (٢٥٦٠).

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين: «ومعنى قوله ﷺ: «**حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»، أي: جُعلت على حفافها وهي جوانبها، وتوهم الناس أنها ضرب فيها المثل فجعلها في جوانبها من خارج، ولو كان ذلك ما كان مثلًا صحيحًا، وإنما هي من داخل، وهذه صورتها:

| جهنم | | | الجنة | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| النساء | المال | الجاه | الصبر | الألم | الفقر | المكاره | الغزو |

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب احتجاج الجنة والنار وصفة أهلهما

البخاري[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**احْتَجَّتِ النَّارُ وَالجَنَّةُ، فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الجَبَّارُونَ، وَالمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلؤُهَا**». وخرجه مسلم.

**قلت**: ومعنى «**احْتَجَّتِ النَّارُ وَالجَنَّةُ**» أي: حجت كل واحدة صاحبتها وخاصمتها.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه في صفة أهل الجنة، وأهل النار، وفي شرار الناس من هم؟

مسلم[٢] عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالخَائِنُ الَّذِي**

---

(١) البخاري: (٤٨٥٠)، مسلم: (٢٨٤٦).

(٢) مسلم: (٢٨٦٥).

**لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ البُخْلَ وَ الكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الفَحَّاشُ».**

وعن حارثة بن وهب الخزاعي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**»[1].

مسلم[2] عن أنس بن مالك ﷺ قال: مرَّ بجنازة فأُثني عليها خير، فقال النبي ﷺ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**»، ومر بجنازة فأثني عليها شر، فقال النبي ﷺ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ!**»، فقال عمر ﷺ: فداك أبي وأمي، مر بجنازة فأثني عليها خير فقلتَ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ!**»، ومر بجنازة فأثني عليها شر فقلت: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**». فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**».

■ ▣ ■ ▣ ■

## فصل

قوله: «**ذُو سُلطَانٍ مُقْسِطٌ ... وما بعده**» مرفوع على أنها صفات لذو، وهو بمعنى صاحب، والمقسط: العادل، والمتصدق: المعطي للصدقات، والموفق: المسدد لفعل الخيرات، رقيق القلب: لينه عند التذكر والموعظة، ويصح أن يكون بمعنى الشفيق.

وقوله: «**ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ**»: يعني: ضعيفًا في أمور الدنيا قويًّا في أمر دينه، كما قال عليه السلام: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ...**» الحديث. خرجه مسلم[3].

---

(١) البخاري: (٤٩١٨)، مسلم: (٢٨٥٣).
(٢) مسلم: (٩٤٩).
(٣) مسلم: (٢٦٦٤).

فأما من كان ضعيفًا في أمور دينه لا يعبأ بها فمذموم، وذلك من صفات أهل النار، كما قال: وأهل النار خمسة: «**الضعيف الذي لا زبر له**» أي: لا عقل له، ومن لا عقل له ينكف به عن المفاسد ولا ينزجر عنها فحسبك به ضعفًا وخسارة في الدين.

وكذلك قوله: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلمٍ، وعفيف متعفف ذو عيال**».

**والعفيف**: الكثير العفة، وهي: الانكفاف عن الفواحش وعن ما لا يليق.

**والمتعفف**: المتكلف للعفة. **والشنظير**: السيئ الخلق. **والفحاش**: الكثير الفحش.

**والجوَّاظ**: الجموع المنوع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٨]. وقيل: الجواظ: الكثير اللحم المختال. وقيل: الجافي القلب.

**والعتل**: الجافي الشديد الخصومة، وقيل: هو الأكول الشروب الظلوم.

وفي بعض طرق البخاري[(١)] أيضًا عن عمر ﷺ قال النبي ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ**. فقلنا: وَثَلَاثَةٌ؟ قال: **وَثَلَاثَةٌ**. فقلنا: واثنان؟ قال: **وَاثْنَانِ**. ثم لم نسأله عن الواحد».

قال أبو محمد عبد الحق: «وهذا الحديث مخصوص، والله أعلم، والذي قبله يعطي العموم، وأن من كثرت شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بالخير والثناء الصالح كانت له الجنة، والله أعلم».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) البخاري: (١٣٦٨، ٢٦٤٣).

## باب منه في صفة أهل الجنة وأهل النار

مسلم[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ، لَا يَدْخُلنَ الجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».

وخرج مسلم[٢] أيضًا عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَقْوَامٌ، أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ».

للعلماء في تأويل هذا الحديث وجهان:

**أحدهما**: أنها مثلها في الخوف والهيبة، والطير أكثر الحيوانات خوفًا.

**الثاني**: أنها مثلها في الضعف والرِّقة.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار

مسلم[٣] عن أسامة بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَإِذَا أَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، إِلَّا أَصْحَابَ النَّارِ، فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ».

البخاري[٤] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى. قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) مسلم: (٢١٢٨).
(٢) مسلم: (٢٨٤٠).
(٣) مسلم: (٢٧٣٦)، البخاري: (٥١٩٦).
(٤) البخاري: (٧٢٨٠).

## باب لا يدخل الجنة صاحب مكس ولا قاطع الرحم

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [الأعراف: ٨٦] نزلت في المَكَّاسين والعَشَّارين، في قول بعض العلماء.

وقال: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣].

مسلم[١] عن جبير بن مطعم عن أبيه ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ**»، قال ابن أبي عمر قال سفيان: «قاطع رحم»، ورواه البخاري[٢].

أبو داود[٣] عن عقبة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ صَاحِبُ مَكْسٍ**».

قال علماؤنا: صاحب مكس: هو الذي يعشر أموال الناس، ويأخذ من التجار والمختلفين ما لا يجب عليهم إذا مرُّوا به مكسًا باسم العشر أو الزكاة، وليس هو الساعي الذي يأخذ الصدقات والحق الواجب للفقراء.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في أول من تسعر بهم جهنم

مسلم[٤] عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ**

---

(١) مسلم: (٢٥٥٦).
(٢) البخاري: (٥٩٨٤).
(٣) أبو داود (٢٩٣٧)، أحمد: (٢٨/ ٥٢٦).
(٤) مسلم: (١٩٠٥).

العِلمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعمَهُ فَعَرَفَها، قَالَ: فَمَا عَمِلتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قَالَ: فَمَا عَمِلتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلقِيَ فِي النَّارِ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب فيمن يدخل الجنة بغير حساب

مسلم[١] عن عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ. قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ولا يَتَطَيَّرُوْنَ و لَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

الترمذي[٢] عن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلفٍ سَبْعُونَ أَلفًا وَثَلاَثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي»، قال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## فصل

لا تظن أنَّ من استرقى واكتوى لا يدخل الجنة بغير حساب، فإن النبي ﷺ رقى نفسه وأمر بالرقى، وكذلك كوى أصحابه ونفسه فيما ذكره الطبري؛ فيحمل النهي على رقى مخصوص بدليل قول رسول الله ﷺ لآل عمرو بن حازم: «اعْرِضُوا عَلَيَّ

---

(١) مسلم: (٢١٨).

(٢) الترمذي: (٢٤٣٧).

رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»[١]، وكذلك الكيُّ الذي لا يوجد عنه غنى، فمن فعله في محله وعلى شرطه لم يكن ذلك مكروهًا في حقه، ولا منقصًا له من فضله.

## باب أمة محمد ﷺ شطر أهل الجنة وأكثر

مسلم[٢] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ فَقَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ قَالَ: فَذَلِكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ. قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ قال: أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ. قال: ثم قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ. فحمدنا وكبرنا، ثم قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ. فحمدنا وكبرنا، ثم قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الحِمَارِ». وخرجه البخاري[٣].

## أبواب جهنم وما جاء فيها وفي أهلها وأسمائها أجارنا الله منها

ذكر الله جل جلاله النار في كتابه ووصفها وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونعتها، فقال عزَّ من قائل: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: ١٥ - ١٦] الشَّوى: جمع شواه، وهي جلدة الرأس.

وقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٧ - ٢٩] أي: مغيِّرة، يقال: لاحته الشمس ولوحته: إذا غيرته.

---

(١) مسلم: (٢٢٠٠).
(٢) مسلم: (٢٢٢).
(٣) البخاري: (٦٥٣٠).

وقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ [القارعة: ١٠ – ١١].

وقال: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ أي: ليرمين فيها، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ [الهمزة: ٤ – ٧].

وقال: ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾ [التكوير: ١٢]: أي: أُوقدت وأُضرمت.

وقال: ﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وسيأتي بيان هذا.

فأوعد بها الكافرين، وخوَّف الطغاة المتمردين، والعصاة من الموحدين؛ لينزجروا عما نهاهم، فقال وقوله الحق: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ [النساء: ١٠] الآية.

وقال: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ [الزمر: ١٦].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء فيمن سأل الله الجنة واستجار به من النار

الترمذي[1] عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الجَنَّةَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ**».

تقرَّر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والإخلاص فيها مع الإيمان موصلة إلى الجنان ومباعدة من النيران، ويكفيك من ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ الله،**

---

(١) الترمذي: (٢٥٧٢).

إِلَّا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ اليَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»[١]. الخريف: السنة.

وثبت في الصحيحين[٢] عن عدي بن حاتم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ». لفظ مسلم.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في جهنم وأنها أدراك ولمن هي

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، فالنار دركات سبعة، أي: طبقات ومنازل، وإنما قال: أدراك ولم يقل: درجات؛ لاستعمال العرب لكل ما تسافل: أدراك، ولما تعالى: درج، فيقول: للجنة درج، وللنار أدراك، فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار وهي الهاوية؛ لغلظ كفره، وكثرة غوائله، وتمكنه من أذى المؤمنين.

قال العلماء: وأعلى الدركات جهنم وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ، وهي التي تخلى من أهلها فتصفق الرياح أبوابها، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

وقد يقال للدركات: درجات؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في صفة أبواب جهنم وأنها سبعة

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤].

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) البخاري: (٢٨٤٠)، مسلم: (١١٥٣).
(٢) البخاري: (٦٥٣٩)، مسلم: (١٠١٦).

## باب ما جاء في عظم جهنم وأزمتها وكثرة ملائكتها

مسلم[١] عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## فصل

هذا يبين لك ما قلناه: إن جهنَّم اسم عَلَم لجميع النار، ومعنى يُؤتى بها: يُجاء بها من المحل الذي خلقها الله تعالى فيه؛ فتدار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصِّراط كما تقدَّم.

**والزمام**: ما يزم به الشيء، أي: يشدُّ ويربط، وهذه الأزمة التي تساق بها جهنم يمنع من خروجها على أهل المحشر، فلا يخرج منها إلا الأعناق التي أُمِرَتْ بأخذ من شاء الله أخذه.

وملائكتها كما وصفهم الله تعالى: ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

وقال ابن عباس: «ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم».

وأما قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] فالمراد: رؤساؤهم.

**وأما جملتهم**: فالعبارة عنها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

---

(١) مسلم: (٢٨٤٢).

## باب ما جاء في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها

مالك[١] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «نَارُ ابنِ آدَمَ الَّتِي يُوْقِدُوْنَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ. فقالوا: يا رسول الله، وإن كانت لكافية. قال: فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا»، وأخرجه مسلم[٢] وزاد: «كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا».

وقال عبد الله بن مسعود: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، ولولا أنه ضرب بها البحر عشر مرات ما انتفعتم بشيء منها».

مسلم[٣] عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَل رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَل مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَل رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَل مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه وما جاء في شكوى النار وكلامها وبُعْد قعرها وأهوالها وفي قدر الحجر الذي يرمى به فيها - أجارنا الله منها ومن أهوالها -

روى الأئمة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فجعل لَهَا نَفَسَيْنِ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَشِدَّةُ مَا تَجِدُونَ مَنْ البردِ مِنْ زَمْهَرِيْرِهَا، وَشِدَّةُ مَا تَجِدُونَ مِنْ الحَرِّ مِنْ سَمُوْمِهَا» أخرجه البخاري ومسلم[٤].

---

(١) الموطأ: (٣٦٤٧/ ٨٣٠).
(٢) مسلم: (٢٨٤٣).
(٣) مسلم: (٢٨٠٧).
(٤) البخاري: (٣٢٦٠)، مسلم: (٦١٧).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سَمِعَ وَجْبَةً، فقال النبي ﷺ: «**أَتَدْرُوْنَ مَا هَذَا؟** قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: **هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**» خرجه مسلم[1].

«**الوَجْبَة**»: الهدة، وهي صوت وقع الشيء الثقيل.

قوله: «**اشْتكَتِ النَّارُ**»: شكواها بأن أكل بعضها بعضًا محمول على الحقيقة لا على المجاز؛ إذ لا إحالة في ذلك.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم وأنكالهم

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢١]، وقال: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١ – ٧٢]، وقال: ﴿فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة: ٣٢]، وقال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [المزمل: ١٢] الآية.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]

**الوَقود**: بفتح الواو على وزن الفَعول بفتح الواو: الحطب.

**والحجارة**: هي حجارة الكبريت، خلقها الله تعالى عنده كيف شاء أو كما شاء، عن ابن مسعود وغيره، وذكره ابن المبارك عن عبد الله بن مسعود.

وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب: سرعة الإيقاد، ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرّها إذا حميتْ.

وقيل: المراد بالأحجار: الأصنام، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، أي: حطب، وهو ما يلقى في النار مما تذكى به،

---

(١) مسلم: (٢٨٤٤).

وعليه فتكون الحجار والناس وقودًا للنار على التأويل الأول، وعلى التأويل الثاني يكونون معذبين بالنار والحجارة.

## باب تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره وتوزيع العذاب على العاصي المؤمن بحسب أعمال الأعضاء

مسلم[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضِرْسُ الكَافِرِ أَوْ نَابُ الكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ المُسْرِعِ**».

مسلم[٢] عن سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ**»، وفي رواية: «**حِقْوَيْهِ**» مكان «**حُجْزَتِهِ**».

هذا الباب يدلك على أن كفر من كفر فقط ليس ككفر من كفر وطغى وتمرَّد وعصى، ولا شك أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون، كما قد علم من الكتاب والسنة، ولأنَّا نعلم على القطع والبتات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسدوا في الأرض وكفر، مساويًا لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين، ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبي ﷺ إلى ضحضاح؛ لنصرته إياه، وذبِّه عنه، وإحسانه إليه.

---

(١) مسلم: (٢٨٥١).
(٢) مسلم: (٢٨٤٥).

## باب ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي وأذيتهم أهل النار بذلك

مسلم[١] عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ».

وذكر ابن وهب قال: وحدثنا ابن زيد قال: يقال: «إنه ليؤذي أهل النار نتن فروج الزناة يوم القيامة».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه وفي عذاب من عذب الناس في الدنيا

مسلم[٢] عن هشام بن حكيم بن حزام أَنَّه مرَّ على أناس من الأنباط بالشام، قد أقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا في الجزية. فقال هشام: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب في عذاب من أمر بالمعروف ولم يأته ونهى عن المنكر وأتاه وذكر الخطباء وفيمن خالف قوله فعله

البخاري[٣] عن أسامة بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الحِمَارِ بِرَحَاهُ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ»، خرَّجه مسلم[٤] بمعناه عن أسامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ

(١) مسلم: (٢١٠٩)، البخاري: (٥٩٥٠).
(٢) مسلم: (٢٦١٣).
(٣) البخاري: (٧٠٩٨).
(٤) مسلم: (٢٩٨٩).

تكُ تأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## فصل

قال إبراهيم النخعي: إني لأكره القصص لثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ – ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

قلت: وألفاظ هذه الآيات تدلُّ مع ما ذكرناه من الأحاديث، على أن عقوبة من كان عالـمًا بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه، وإنما ذلك لأنه كالمستهين بحرمات الله ومستخف لأحكامه، وهو ممن لم ينتفع بعلمه، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ الله بِعِلْمِهِ**»(١).

وقوله: «**تَنْدَلِقُ**» أي: تخرج، والاندلاق: الخروج بسرعة، يقال: اندلق السيف، خرج من غمده، وروينا فتنفلق بدل فتندلق.

**والأَقْتَاب**: الأمعاء، واحدها: قتب بكسر القاف. وقال الأصمعي: واحدها قتبة، ويقال لها أيضًا: الأقصاب واحدها قصب، قاله أبو عبيد.

وقال ﷺ: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**»(٢).

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

---

(١) البيهقي في «شعب الإيمان»: (١٦٤٢)، الطبراني في «الصغير»: (٥٠٧).
(٢) البخاري: (٤٦٢٣)، مسلم: (٢٨٥٦).

## باب ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم

قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩]، وقال: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٤]، وقال: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ أي: نومًا، ﴿وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٤ - ٢٦]، وقال: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]. وقال عزَّ من قائل: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٥ - ٦]، وقال: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٥ - ٣٦]، قال الهروي: «معناه: صديد أهل النار، وما ينغسل ويسيل من أيديهم».

**قلت**: وهو الغساق أيضًا، ذكره ابن المبارك: أخبرنا سفيان عن منصور عن إبراهيم وأبي رزين في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٥٧] قالا: «ما يسيل من صديدهم».

وقيل: الغساق: القيح الغليظ المنتن.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في بكاء أهل النار ومن أدناهم عذابًا فيها

مسلم[1] عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**».

وفي التنزيل: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]، وفي الترمذي[2] من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «**وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا!**»، فمن كثر بكاؤه خوفًا من الله تعالى وخشية منه ضحك كثيرًا

(١) مسلم: (٢١٣).
(٢) الترمذي: (٢٣١٢).

في الآخرة، قال الله تعالى مخبرًا عن أهل الجنة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦]، ووصف أهل النار فقال: ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٣١]، وقال: ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب لكل مسلم فداء من النار من الكفار

مسلم[١] عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، دَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ**».

وفي رواية أخرى: «**لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللهُ مَكَانَهُ مِنَ النَّارِ يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا**. فاستحلفه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات: أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ؟ قال: فحلف له»[٢].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب في قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]

مسلم[٣] عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ! حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ. وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ**».

في رواية أخرى[٤]: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللهُ، سبحانه، عَلَيْهَا رِجْلَهُ، فتَقُولُ: قَطْ قَطْ. فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ، وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَلَا يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا**».

---

(١) مسلم: (٢٧٦٧/ ٤٩).
(٢) مسلم: (٢٧٦٧/ ٥٠).
(٣) مسلم: (٢٨٤٨).
(٤) مسلم: (٢٨٤٦).

## باب ذكر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة وفي تعيينه وتعيين قبيلته واسمه

مسلم[1] عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اذْهَبْ فَادْخُل الجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اذْهَبْ فَادْخُل الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا- قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي - أَوْ أَتَضْحَكُ بِي - وَأَنْتَ المَلِكُ؟ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، قال: فكان يقول: ذَلِكَ أَدْنَى أَهْل الجَنَّةِ مَنْزِلَةً».

وعنه[2] أن رسول الله ﷺ قال: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا التَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابُ الجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ مثله: قال: فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا سَمِعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ،

---

(١) مسلم: (١٨٦).
(٢) مسلم: (١٨٧).

أَدْخِلنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ فيقول: أي رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألون مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ فقال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: مِنْ ضَحِكِ رَبِّ العَالَمِينَ. فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ».

وأجمع العلماء - أهل السنة - على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها، كإبليس وفرعون وهامان وقارون، وكل من كفر وتكبَّر وطغى، فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، وقد أوعدهم الله عذابًا أليمًا.

وقال عزَّ من قائل: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

وأجمع أهل السنة أيضًا على أنه لا يبقى فيها مؤمن، ولا يخلد فيها إلا كافر جاحد، فاعلمه!

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠] إسناد صحيح[1].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) ابن ماجه: (٤٣٤١).

## باب ما جاء في خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط ومن يذبحه

البخاري[١] عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادِيًا: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَأَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ».

مسلم[٢] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يُجَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِالمَوْتِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ هَل تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فيقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَل تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فيقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ. فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ فِيهَا. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا».

■ ▣ ■ ▣ ■

## باب صفة الجنة ونعيمها وما أعد الله تعالى لأهلها فيها

مسلم[٣] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْرًا، بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ، ثم قرأ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»

«بله» معناه: غير، وقيل: اسم من أسماء الأفعال بمعنى: دَع.

■ ▣ ■ ▣ ■

(١) البخاري: (٦٥٤٨).
(٢) مسلم: (٢٨٤٩).
(٣) مسلم: (٢٨٢٤)، البخاري: (٣٢٤٤، ٤٧٧٩، ٤٧٨٠، ٧٤٩٨).

## باب ما جاء في أنهار الجنة وجبالها وما في الدنيا منها

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

مسلم[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَيْحَانُ، وَجَيْحَانُ، وَالفُرَاتُ، وَالنِّيلُ: كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ**».

وقال كعب: «دجلة نهر ماء الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة من نهر الكوثر».

وذكر البخاري[٢] من طريق شريك عن أنس ﷺ في حديث الإسراء: «**فَإِذَا هُوَ فِي السَّماءِ الدُّنْيَا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: النِّيلُ وَالفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا ثُمَّ مَضَى فِي السَّماءِ، فَإِذَا هُوَ بِنَهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قال: هَذَا النَّهْرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب من أين تفجر أنهار الجنة

البخاري[٣] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ آمَنَ بِالله وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا**. قالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: **إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ فِي أَوْسَطِ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**».

---

(١) مسلم: (٢٨٣٩).
(٢) البخاري: (٧٥١٧).
(٣) البخاري: (٢٧٩٠).

وقال أبو حاتم البُسْتي: معنى قوله: «أَوْسَطُ الجَنَّةِ»: يريد أن الفردوس في وسط الجنان في العرض. و هو «أَعْلَى الجَنَّةِ»: يريد في الارتفاع.

وقال قتادة: «الفردوس» ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء أن الخمر شراب أهل الجنة ومن شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة وفي لباس أهل الجنة وآنيتهم

النسائي[١] عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلبَسْهُ فِي الآخِرَةِ، وَمَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ، وَمَنْ شَرِبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ لَمْ يَشْرَبْ بِهَا فِي الآخِرَةِ. ثم قال رسول الله ﷺ: «لِبَاسُ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَشَرَابُ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَآنِيَةُ أَهْلِ الجَنَّةِ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في أشجار الجنة وثمارها وما يشبه ثمر الجنة في الدنيا

الترمذي[٢] عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وَفِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]». قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

(١) النسائي: «الكبرى» (٦٨٤٠).
(٢) الترمذي: (٣٢٩٢).

وخرَّج مسلم[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في صلاة الكسوف قالوا: «يا رسول الله، رأيناك تناولت في مقامك شيئًا ثم رأيناك تَكَعْكَعْتَ؟ قال: **إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا**».

تَكَعْكَعْتَ: معناه: تأخرت.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## بابٌ في كسوة أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١]، وقال: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ليس في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب

الترمذي[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا فِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ**»، قال: «حديث حسن غريب».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب الزرع في الجنة

البخاري[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان يومًا يحدث وعنده رجل من أهل البادية: أن رجلًا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: **أَوَلَيْسَتْ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ. فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ، أَمْثَالَ الجِبَالِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ**. فقال الأعرابي: يا رسول الله: لا تجد هذا إلا قرشيًا أو أنصاريًا؛ فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع. فضحك رسول الله ﷺ».

---

(١) مسلم: (٩٠٧).
(٢) الترمذي: (٢٥٢٥).
(٣) البخاري: (٢٣٤٨).

## باب ما جاء في أبواب الجنة وكم هي؟ ولمن هي؟ وفي تسميتها وسعتها

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، قال جماعة من أهل العلم: هذه واو الثمانية، فللجنة ثمانية أبواب، واستدلوا بقوله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»، رواه عمر بن الخطاب ﷺ، وخرجه مسلم[١].

وجاء تعيين هذه الأبواب لبعض العمال، كما في حديث الموطأ وصحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ فِي الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ.** فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، ما على أحد يدعى من هذه الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب؟ قال: **نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**»[٢].

وقد خرج مسلم[٣] عن خالد بن عمير قال: خطبنا عتبة بن غزوان، وكان أميرًا على البصرة، فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر الحديث، وفيه: ولقد ذكر لنا: «**أَنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ...**» الحديث.

قوله: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، قال الحسن البصري رحمه الله: «يعني: اثنين من كل شيء: دينارين، درهمين، ثوبين، خفين».

وقيل: يريد شيئين: دينارًا ودرهمًا، وثوبًا وخفًا ولجامًا، ونحو هذا.

---

(١) مسلم: (٢٣٤).
(٢) موطأ مالك: (٢/ ٤٦٩)، البخاري: (١٨٩٧)، مسلم: (١٠٢٧).
(٣) مسلم: (٢٩٦٧).

وقال الباجي: «يحتمل أن يريد بذلك العمل: من صلاتين أو صيام يومين».

**قلت:** والأول من التفسير أعلا؛ لأنه مروي عن النبي ﷺ، ذكر الآجري عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سبيل الله ابْتَدَرَتْهُ حَجَبَةُ الجَنَّةِ** - ثم قال ﷺ -: **بعيرين، درهمين، ترسين، نعلين**»[1].

وأما ما جاء من سعة أبواب الجنة فيحتمل أن يكون بعضها سعته كذا وبعضها سعته كذا، كما ورد في الأخبار، ولا تعارض، والحمد لله.

▪▣▪▣▪

## باب

روى البخاري ومسلم[2] عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ، أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ**».

**قلت:** وكذا والله أعلم سائر الأبواب المختصة بالأعمال.

وجاء في حديث أبي هريرة ﷺ أن من الناس من يدعى من جميع الأبواب، فقيل: ذلك الدعاء دعاء تنويه، وإعطاؤه ثواب العاملين تلك الأعمال؛ إذ قد جمعها ونيله ذلك، ثم يدخل من الباب الذي غلب عليه العمل، والله أعلم.

وفي صحيح مسلم[3]: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟** قال أبو بكر: أنا. قال: **فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟** قال أبو بكر: أنا. قال: **فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟** قال أبو بكر: أنا. قال: **فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟** قال أبوبكر ﷺ: أنا. قال رسول الله ﷺ: **مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

---

(١) أحمد: (٣٥/ ٣٢٥).
(٢) البخاري: (١٨٩٦)، مسلم: (١١٥٢) والفظ له.
(٣) مسلم: (١٠٢٨).

## باب ما جاء في درج الجنة وما يحصلها للمؤمن

الترمذي[١] عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِنْهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَإِنَّ أَعْلَاهَا الفِرْدَوْسُ، وَأَوْسَطُهَا الفِرْدَوْسُ، وَإِنَّ العَرْشَ عَلَى الفِرْدَوْسِ، مِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ، إِذَا سَأَلْتُمُ الله فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ». قال الترمذي: «عطاء لم يدرك معاذ بن جبل».

**قلت**: قد خرجه البخاري من حديث أبي هريرة[٢]؛ فهو متصل صحيح.

أبو داود[٣] عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّل كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا».

قال العلماء رحمة الله عليهم: حملة القرآن وقراؤه: هم العاملون بأحكامه وحلاله وحرامه، والعاملون بما فيه.

وفي البخاري[٤]: «مَثَلُ المُؤْمِن الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالتَّمْرَةِ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في غرف الجنة ولمن هي

قال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ الآية [الزمر: ٢٠]، وقال: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥].

(١) الترمذي: (٢٥٣٠).
(٢) البخاري: (٢٧٩٠).
(٣) أبو داود: (١٤٦٤).
(٤) البخاري: (٥٠٥٩).

مسلم[١] عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: **بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ**».

الترمذي[٢] عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَغُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**. فقام إليه أعرابي، فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: **لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## فصل

اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال، فبعضها أعلى من بعض وأرفع.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في قصور أهل الجنة ودورها وبيوتها وبم ينال ذلك المؤمن

الترمذي[٣] عن بريدة بن خصيب رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالًا فقال: «**يَا بِلَالُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الجَنَّةِ؟ فَمَا دَخَلْتُ الجَنَّةَ إِلَّا وَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ[٤] أَمَامِي، فَأَتَيْتُ عَلَى قَصْرٍ مُرَبَّعٍ مُشْرِفٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِرَجُلٍ عَرَبِيٍّ، فَقُلْتُ: أَنَا عَرَبِيٌّ، لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ قَالُوا لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقُلْتُ: أَنَا قُرَشِيٌّ، لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدٌ لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟**

---

(١) مسلم: (٢٨٣١).
(٢) الترمذي: (٢٥٢٧).
(٣) الترمذي: (٣٦٨٩).
(٤) خشخشتك: الخشخشة: حركة لها صوت.

قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ. فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث إلا توضأت عنده ورأيت أن لله عليّ ركعتين. فقال رسول الله ﷺ: بهما»، قال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في خيام الجنة وأسواقها وتعارف أهل الجنة وعبادتهم فيها

مسلم(١) عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**فِي الجَنَّةِ خَيْمَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ لِلمُؤمِنِ، مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِم المُؤْمِنُ**».

في رواية(٢): قال: «**الخَيْمَةُ دُرَّةٌ، طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ لِلمُؤْمِنِ، ما يَرون الآخَرِينَ**».

وخرج مسلم(٣) أيضًا عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَالله لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا ، فيقولون: وأنتم وَالله لَقَدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب أول الناس يسبق إلى الجنة الفقراء

الترمذي(٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ**»، خرجه من حديث الأعمش سليمان عن عطية العوفي عن أبي سعيد، وقال فيه: «حديث حسن غريب من هذا الوجه».

---

(١) مسلم: (٢٨٣٨/ ٢٤)، البخاري: (٤٨٧٩).
(٢) مسلم: (٢٨٣٨/ ٢٥)، البخاري: (٣٢٤٣).
(٣) مسلم: (٢٨٣٣).
(٤) الترمذي: (٢٣٥١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ، نِصْفِ يَوْمٍ**»، قال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»[1].

وفي طريق أخرى[2]: «**يَدْخُلُ فُقَرَاءُ المُسْلِمِينَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ**»، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وفي صحيح مسلم[3] من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى الجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في صفة أهل الجنة ومراتبهم وسنهم وطولهم وشبابهم وعرفهم وثيابهم وأمشاطهم ومجامرهم وأزواجهم وليس في الجنة عزب

مسلم[4] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ** - وفي رواية: مِنْ أُمَّتِي - **عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ** كوكب دري **فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً** - وفي رواية: ثم هم بعد هذا منازل - **لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ** - وفي رواية: الفضة **وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ** - وفي رواية: لكل واحد منهم زوجتان - **يُرَى مُخُّ سَاقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، مِنَ الحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**».

قال أبو علي: الألوة: هو العود.

---

(١) الترمذي: (٢٣٥٣).
(٢) الترمذي: (٢٣٥٤).
(٣) مسلم: (٢٩٧٩).
(٤) مسلم: (٢٨٣٤/١٦).

وفي رواية[١]: «**عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ**». وقال أبو كريب: «**عَلَى خَلقِ رَجُلٍ**».

فقال أبو هريرة رضي الله عنه حين تذاكروا الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فقال: «**لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مُخُّ ساقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الجَنَّةِ عزب**»[٢].

البخاري[٣] عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

الترمذي[٤] عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَهْلُ الجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كُحْلٌ لَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ وَلاَ تَبْلَى ثِيَابُهُمْ**».

وخرّج[٥] عنه أيضًا عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلاَثِينَ أَوْ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## فصل

وقوله: «**أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ والفضة وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ**»، قد يقال هنا: أي حاجة في الجنة للأمشاط ولا تتلبد شعورهم ولا تتسخ؟ وأي حاجة للبخور وريحهم أطيب من المسك؟.

**ويجاب عن ذلك**: بأن نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم، فليس أكلهم عن جوع، ولا شربهم عن ظمأ، ولا تطييبهم عن نتن، وإنما هو لذّات متوالية

---

(١) مسلم: (٢٨٣٤/ ١٥).
(٢) مسلم: (٢٨٣٤/ ١٤).
(٣) البخاري: (٢٧٩٦).
(٤) الترمذي: (٢٥٣٩).
(٥) الترمذي: (٢٥٤٥).

ونعم متتابعة، ألا ترى قوله تعالى لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨-١١٩].

**وحكمة ذلك:** أن الله تعالى نعمهم في الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا، وزادهم على ذلك ما لا يعلمه إلا الله.

**قلت:** وقد جاء مثل هذا في أهل النار، حيث قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١]، وقال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا﴾ [المزمل: ١٢]، فعذبهم في النار بنوع ما كانوا يعذبون به في الدنيا.

قال الشعبي: «أترون أن الله تعالى جعل الأنكال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا؟ لا والله، ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا استثقلت بهم».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء أن الأعمال الصالحة مهور الحور العين

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥].

وخرَّج أبو عيسى الترمذي[1] من حديث المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله تعالى سِتُّ خِصَالٍ...**» الحديث، وفيه: «**وَيُزَوَّجُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ**».

**قلت:** وهذا يؤيد ما ذكرناه في حديث أبي هريرة ﷺ «**لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ**»: أن ذلك من نساء الدنيا، والله أعلم.

وقال يحيى بن معاذ: «ترك الدنيا شديد، وفوت الجنة أشدّ، وترك الدنيا مهر الآخرة».

وقال أبو هريرة: «يتزوج أحدكم بفلانة بنت فلان بالمال الكثير، ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسرة».

---

(١) الترمذي: (١٦٦٣).

ورُوِيَ عن سُحْنُون أنه قال: «كان بمصر رجل يقال له: سعيد، وكانت له أم من المتعبدات، وكانت إذا قام يصلي بالليل تقوم والدته خلفه، فإذا غلبه النوم ونعس تناديه والدته: يا سعيد، إنه لا ينام من يخاف النار، ويخطب الحور الحسان؛ فيقوم مرعوبًا».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء أن في الجنة أكلاً وشربًا ونكاحًا حقيقة ولا قذر فيها ولا نقص ولا نوم

مسلم[1] عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ**. قالوا: فما بال الطعام؟ قال: **جُشَاءٌ أَوْرَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ** - وفي رواية: والتكبير - **كَمَا يُلهَمُونَ النَّفَسَ**».

الترمذي[2] عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يُعْطَى المُؤْمِنُ فِي الجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا فِي الجِمَاعِ**. قيل: يا رسول الله، أو يطيق ذلك؟! قال: **يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة

الترمذي[3] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الوَلَدَ فِي الجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي**».

قال: «حديث حسن غريب».

وأخرجه ابن ماجه[4] وقال: «**فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

---

(١) مسلم: (٢٨٣٥).
(٢) الترمذي: (٢٥٣٦).
(٣) الترمذي: (٢٥٦٣).
(٤) ابن ماجه: (٤٣٣٨).

## باب ما جاء أن كل ما في الجنة لا يبلى ولا يفنى ولا يبيد

مسلم[١] عن أبي سعيد الخدري ﷺ وأبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]».

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يَنْعَمُ ولَا يَبْأَسُ، ولَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»[٢].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء أن المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا في الدنيا

أخرج الترمذي[٣] عن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ: لَا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ الله، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا»، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريبٌ»، خرجه ابن ماجه أيضًا[٤].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في طير الجنة وخيلها وإبلها

الترمذي[٥] عن أنس بن مالك ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ قال: «ذَاكَ نَهَرٌ أَعْطَانِيهِ الله - يَعْنِي: فِي الجَنَّةِ - أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الجُزُرِ»، فقال عمر ﷺ: إن هذه لناعمة. قال رسول الله ﷺ: «أكلها أَنْعَمُ مِنْهَا»، قال: «هذا حديث حسن».

---

(١) مسلم: (٢٨٣٧).
(٢) مسلم: (٢٨٣٦).
(٣) الترمذي: (١١٧٤).
(٤) ابن ماجه: (٢٠١٤).
(٥) الترمذي: (٢٥٤٢).

وخرج مسلم[1] عن أبي مسعود الأنصاري ﵁ قال: «جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: «**لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ**».

وعن عكرمة عن ابن عباس ﵄ أنه ذكر مراكبهم ثم تلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

▪▣▪▣▪

## باب ما جاء أن للجنة ربضًا وريحًا

النسائي[2] عن فضالة بن عبيد ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَنَا زَعِيمٌ - وَالزَّعِيمُ الحَمِيلُ - لِمَنْ آمَنَ بِي، وَأَسْلَمَ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله تعالى، بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى غُرَفِ الجَنَّةِ، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَمْ يَدَعْ لِلخَيْرِ مَطْلَبًا، وَلَا مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا، يَمُوتُ حَيْثُ يَشَاء أَنْ يَمُوتَ**».

وخرج البخاري[3] عن عبد الله بن عمرو ﵄ عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا ليوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**».

▪▣▪▣▪

## باب ما جاء أن في الجنة قيعانًا وأن غراسها سبحان الله والحمد لله

الترمذي[4] عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ ﵇ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ لله وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله وَالله أَكْبَرُ**».

---

(١) مسلم: (١٨٩٢).
(٢) النسائي: (٣١٣٣).
(٣) البخاري: (٣١٦٦).
(٤) الترمذي: (٣٤٦٢).

الترمذي[١] عن جابر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ»، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

▪▣▪▣▪

## باب ما جاء لأدنى أهل الجنة منزلة وأعلاهم

مسلم[٢] عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ فقال: يا رب مَا أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يأتي بَعْدَ مَا يَدْخُل أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ ربِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ! فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَقَرَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قال: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قال: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ من كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]».

البخاري[٣] عن عبد الله هو ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْوًا، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رَبِّ الجَنَّةُ مَلأَى! فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ: الجَنَّةُ مَلأَى، فَيَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مِرَات».

▪▣▪▣▪

---

(١) الترمذي: (٣٤٦٤).
(٢) مسلم: (١٨٩).
(٣) البخاري: (٧٥١١)، مسلم: (١٨٦).

## باب رضوان الله تعالى لأهل الجنة أفضل من الجنة

البخاري[١] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله تعالى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَل رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ؟ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلقِكَ. فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»، وخرَّجه مسلم بمعناه في حديث فيه طول[٢].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب رؤية أهل الجنة لله تعالى أحب إليهم مما هم فيه وأقر لأعينهم

مسلم[٣] عن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ الله تَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلنَا الجَنَّةَ؟ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».

وفي رواية[٤]: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وخرجه النسائي[٥] عن صهيب ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ الله مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ. قَالُوا: أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُثَقِّل مَوَازِينَنَا، وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ؟ قال: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَالله مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ».

---

(١) البخاري: (٧٥١٨).
(٢) مسلم: (١٨٣).
(٣) مسلم: (١٨١/ ٢٩٧).
(٤) مسلم: (١٨١/ ٢٩٨).
(٥) النسائي في الكبرى: (١١١٧٠).

وعن جابر بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عيانًا، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصلاة قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**. ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، أخرجه البخاري ومسلم[١].

■ ▣ ■ ▣ ■

## باب في ثواب من قدّم ولدًا

مسلم[٢] عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة ﷺ: «إنه مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم: **صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الجَنَّةِ، يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ - فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ بِيَدِهِ - كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهِي - حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبويه الجَنَّةَ**».

■ ▣ ■ ▣ ■

## فصل

هذا الباب يدل على أن صغار أولاد المؤمنين في الجنة، وهو قول أكثر أهل العلم كما بيَّنَّا.

قيل: وهو مقتضى ظاهر قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] كما تقدَّم، وقد ذكر بعض العلماء الخلاف فيهم، وهذا فيما عدا أولاد الأنبياء؛ فإنه قد تقرر بالإجماع على أنهم في الجنة، حكاه أبو عبد الله المازري.

و«دعاميص» جمع دعموص، هو دويبة تغوص في الماء.

---

(١) البخاري: (٥٥٤)، مسلم: (٦٣٣).
(٢) مسلم: (٢٦٣٥).

وقد قيل: إن «الدعموص» يُراد به: الآذن على الملوك المصرف بين يديه. وهذا هو المراد بالحديث، والله أعلم.

وفي صحيح البخاري[١] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ أَوْ دَخَلَ الجَنَّةَ**».

قال الشيخ ﷺ: قوله ﷺ: «**لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ**»، معناه عند أهل العلم: لم يبلغوا الحلم، ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث.

قال أبو عمر بن عبد البر: «وهذا إجماع من العلماء في أن أطفال المسلمين في الجنة، ولم يخالف في ذلك إلا فرقة شذَّت من المجبرة فجعلتهم في المشيئة، وهو قول مهجور مردود بإجماع الحجة الذين لا يجوز مخالفتهم، ولا يجوز على مثلهم الغلط».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في نُزُلِ أهل الجنة وتحفتهم إذا دخلوها

خرّج مسلم[٢] عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «كنت قاعدًا عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعةً كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله. فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي**. فقال اليهودي: جئت أسألك. فقال له رسول الله ﷺ: **أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ**؟ قال: أسمع بأذني. فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: **سَلْ**! فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: **فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ**. قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: **فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ**، فقال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: **زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ**. قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: **يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا**. قال: فما شرابهم عليه؟ قال: **مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلسَبِيلًا**. قال: صدقت».

---

(١) البخاري معلقًا: (٢/ ١٠٠).
(٢) مسلم: (٣١٥).

## باب ما جاء أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله

في البخاري: «وقيل لوهب: أليس مفاتيح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك».

**قلت:** الأسنان عبارة عن توحيد الله تعالى وعبادته جميعًا، وعن توحيده أيضًا فقط. قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]، وهو في القرآن كثير: الإيمان مع العمل.

وهو مقتضى الحديث الأول حديث جابر وعن توحيد فقط كما في الصحيحين[١] عن أبي ذر وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ.** قلت: وإن زنا وإن سرق؟ قال: **وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## كتاب الفتن والملاحم وأشراط الساعة

## أول أبواب الفتن

### باب الكف عمن قال: لا إله إلا الله

مسلم[٢] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) البخاري: (١٢٣٧)، مسلم: (٩٤).
(٢) مسلم: (٢١)، البخاري: (٢٩٤٦).

## باب ما جاء أن المؤمن حرام دمه وماله وعرضه وفي تعظيم حرمته عند الله تعالى

ابن ماجه[١] عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «**أَلَا إِنَّ أَحْرَمَ الأَيَّامِ يَوْمُكُمْ هَذَا، أَلَا وَإِنَّ أَحْرَمَ الشُّهُورِ شَهْرُكُمْ هَذَا، أَلَا وَإِنَّ أَحْرَمَ البَلَدِ بَلَدُكُمْ هَذَا، أَلَا وَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَل بَلَّغْتُ**؟ قالوا: نعم. قال: **اللَّهُمَّ اشْهَدْ**». وأخرجه مسلم[٢] من حديث أبي بكرة وجابر بمعناه.

مسلم[٣] عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**».

النسائي[٤] عن بريدة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَتْلُ المُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا**».

الترمذي[٥] عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ لَعَنَتْهُ المَلَائِكَةُ**»، قال: «حديث حسن صحيحٌ غريبٌ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في قتل المؤمن والإعانة على ذلك

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] الآية، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٦٩].

---

(١) ابن ماجه: (٣٩٣١).
(٢) مسلم: (١٢١٨، ١٦٧٩).
(٣) مسلم: (٢٥٦٤).
(٤) النسائي (٣٩٩٠).
(٥) الترمذي: (٢١٦٢).

أبو داود[١] عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا، أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب إقبال الفتن ونزولها كمواقع القطر والظلل ومن أين تجيء والتحذير منها، وفضل العبادة عندها

قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ففي هذا تنبيه بالغ على التحذير من الفتن.

مسلم[٢] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**».

وعن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت: «خرج رسول الله ﷺ يومًا فزعًا محمرًا وجهه يقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**». وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**»[٣].

وعن أسامة ﷺ: «أن النبي ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال: **هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي أَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ**»أخرجه البخاري[٤].

مسلم[٥] عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: «استيقظ النبي ﷺ ليلة فزعًا يقول: **سُبْحَانَ اللهِ، مَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ! مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ - لِكَيْ يُصَلِّينَ؛ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ**».

---

(١) أبو داود: (٤٢٧٠).
(٢) مسلم: (١١٨).
(٣) البخاري: (٣٣٤٦، ٣٥٩٨، ٧٠٥٩)، مسلم: (٢٨٨٠).
(٤) البخاري: (١٨٧٨، ٢٤٦٧)، مسلم: (٢٨٨٥).
(٥) البخاري: (١١٥، ١١٢٦، ٦٢١٨، ٧٠٦٩).

وعن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: «**العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»[١].

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: قولها: «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**»: دليلٌ على أن البلاء قد يُرفع عن غير الصالحين إذا كَثُرَ الصالحون.

فأما إذا كَثُرَ المفسدون وقلَّ الصالحون هلك المفسدون والصالحون معهم إذا لم يأمروا بالمعروف ويكرهوا ما صنع المفسدون، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، بل يعمُّ شؤمُهَا من تعاطاها ومن رضيها، هذا بفساده، وهذا برضاه وإقراره على ما نُبيِّنه.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه وظهور الفتن

البخاري[٢] عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحَجَّاج فقال: «**اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا وَبَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**»، سمعته من نبيكم ﷺ. وخرَّجه الترمذي وقال: «حديثٌ صحيحٌ».

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ.** قالوا: وما الهرج؟ قال: **القَتْلُ القَتْلُ**» خرّجه مسلم[٣].

قوله: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ**» قيل: معناه قصر الأعمار وقلة البركة فيها، وقيل: هو دنو زمان الساعة، وقيل: هو قصر مدة الأيام على ما روي: «أن الزمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كاحتراق السَعَفَةِ[٤]»، أخرجه الترمذي وقال: «هذا حديثٌ غريبٌ»[٥]، وقيل في تأويله غير هذا.

---

(١) مسلم: (٢٩٤٨).
(٢) البخاري: (٧٠٦٨).
(٣) مسلم: (٣٠٥٧)، البخاري: (٦٠٣٧، ٧٠٦١).
(٤) بفتحتين: غصن النخل، والجمع: سَعَفٌ.
(٥) الترمذي: (٢٣٣٢).

و«وَيُلَقَّى الشُّحُّ» بمعنى يتلقى ويتعلم ويتواصى به ويدعى إليه. ويجوز «يُلقى» بتخفيف اللام والقاف على معنى يترك؛ لإفاضة المال وكثرته.

## باب ما جاء في الفرار من الفتن وكسر السلاح فيها وحكم المكره عليها

مالك[١] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمًا يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ؛ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**».

مسلم[٢] عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ: أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتَنٌ، أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي فِيهَا، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلحَقْ بِأَرْضِهِ**. قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: **يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَيْهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَل بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَل بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَل بَلَّغْتُ**؟ قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي على أحد الصفين أو إحدى الفئتين فيضربني رجلٌ بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني. قال: **يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».

## باب منه وفي الأمر بلزوم البيوت عند الفتن

أبو داود[٣] عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، وَالقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي**، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: **كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ**».

---

(١) موطأ مالك: (٢/ ٩٧٠)، البخاري: (٣٦٠٠، ٧٠٨٨).
(٢) مسلم: (٢٨٨٧).
(٣) أبو داود: (٤٢٦٢).

## فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: كان محمد بن مسلمة ﷺ ممن اجتنب ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال، وأن النبي ﷺ أمره إذا كان ذلك أن يتخذ سيفًا من خشب، ففعل وأقام بالرَّبذة. وممن اعتزل الفتنة: أبو بكرة، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأبو ذرّ، وحذيفة، وعمران بن حصين، وأبو موسى، وأهبان بن صيفي، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم. ومن التابعين: شريح، والنخعي، وغيرهما ﷺ.

**قلت:** وكانت تلك الفتنة والقتال بينهم على اجتهاد منهم ﷺ، فكان المصيب منهم له أجران والمخطئ له أجر، ولم يكن قتال على الدنيا، فكيف اليوم الذي تسفك فيه الدماء باتباع الهوى طلبًا للملك والاستكثار من الدنيا! فواجب على الإنسان كف اليد واللسان عند ظهور الفتن ونزول البلايا والمحن، نسأل الله السلامة والفوز بدار الكرامة.

وقوله: «**كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ**»: حَضٌّ على ملازمة البيوت والقعود فيها؛ حتى يسلم من الناس ويسلموا منه.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه وكيف التثبت في الفتنة والاعتزال عنها وفي ذهاب الصالحين

ابن ماجه[١] عن هذيل بن شرحبيل عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ**». أخرجه أبو داود أيضًا[٢].

---

(١) ابن ماجه: (٣٩٦١).
(٢) أبو داود: (٤٢٥٩).

ابن ماجه[١] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ، فَيُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخفت أَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا، فَكَانُوا هَكَذَا وَهَكَذَا** - وشبك بين أصابعه- قالوا: كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك الزمان؟ قال: **تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ**». خرَّجه أبو داود أيضًا[٢].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب الأمر بتعلم كتاب الله واتباع ما فيه ولزوم جماعة المسلمين عند غلبة الفتن وظهورها، وصفة دعاة آخر الزمان والأمر بالسمع والطاعة للخليفة وإن ضُرِب الظهر وأُخِذ المال

أبو داود[٣] عن نصر بن عاصم الليثي قال: «أتينا اليشكري في رهط من بني ليث، فقال: من القوم؟ قال: بنو الليث أتيناك نسألك عن حديث حذيفة، فقال: أقبلنا مع أبي موسى قافلين، وغلت الدواب بالكوفة، قال: فسألت أبا موسى الأشعري أنا وصاحب لي فأذن لنا فقدمنا الكوفة فقلت لصاحبي: أنا داخل المسجد، فإذا قامت السوق خرجت إليك. قال: فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤوسهم، يستمعون إلى حديث رجل قال: فقمت عليهم فجاء رجل فقام إلى جنبي قال: فقلت: من هذا؟ قال: أبصري أنت؟ قال: قلت: نعم. قال: قد عرفت، ولو كنت كوفيًا لم تسأل عن هذا. فدنوت منه فسمعت حذيفة رضي الله عنه يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، وعرفتُ أن الخير لن يسبقني، قال: فقلت: يا رسول الله بعد هذا الخير شر، قال: **يَا حُذَيْفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ الله، وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ**. ثلاث مرات، قال: قلت يا رسول الله بعد هذا الخير شر؟ فقال: **يَا حُذَيْفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ الله، وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ**. قال: قلت: يا رسول الله بعد هذا الشر خير.

---

(١) ابن ماجه: (٣٩٥٧).
(٢) أبو داود: (٤٣٤٢).
(٣) أبو داود: (٤٢٤٦).

قال: **هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ، وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ**[١] **فِيهِمْ أَوْ فِيهَا**، قُلت: يا رسول الله الهدنة على الدخن ما هي؟ قال: **لَا تَرْجِعُ قُلُوبُ أَقْوَامٍ عَلَى الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ**. قال: قلت يا رسول الله بعد هذا الخير شر؟ قال: **فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ، صَمَّاءُ، عَلَيْهَا دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ النَّارِ، فَإِنْ مِتَّ يَا حُذَيْفَةُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلٍ**[٢]**، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَّبِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ**.

وخرج أبو داود والبخاري ومسلم[٣] عن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: **نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ**. قلت: وما دخنه؟ قال: **قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**. فقلت فهل: بعد ذلك الخير من شر؟ قال: **نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**. فقلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: **نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**. فقلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: **تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**. قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: **فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار

مسلم[٤] عن الأحنف بن قيس قال: خرجت وأنا أريد هذا الرجل، فلقيني أبو بكرة، فقال: أين تريد يا أحنف؟ قال: فقلت: أريد نصرة ابن عم رسول الله ﷺ يعني عليًا ﷺ، قال: فقال لي: يا أحنف ارجع سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ**. قال: فقلت أو قيل: يا رسول الله

---

(١) أقذاء: جمع قذى، وهو ما يقع في العين من غبار ووسخ.
(٢) جذل: الجذل: أصل الشجرة
(٣) البخاري: (٣٦٠٦، ٧٠٤٨)، مسلم: (١٨٤٧)، أبو داود: (٤٢٤٤).
(٤) مسلم: (٢٨٨٨).

هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ»، أخرجه البخاري[1].

وفي بعض طرقه[2]: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِه».

## فصل

قال أصحابنا: ليس هذا الحديث في أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله، وهذا يدلُّ على أن قوله: «القاتل والمقتول في النار» ليس في أصحاب محمد ﷺ؛ لأنهم إنما قاتلوا على التأويل.

فيجب على المسلمين توقيرهم، والإمساك عن ذكر زللهم، ونشر محاسنهم؛ لثناء الله ﷻ عليهم في كتابه، فقال وقوله الحق: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة، وقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ إلى قوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وكل من ذهب منهم إلى تأويل فهو معذور، وإن كان بعضهم أفضل من بعض وأكثر سوابق.

وقد قيل: إن من توقف من الصحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف على عمومها، فاجتنبوا جميع ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال، وربما ندم بعضهم على ترك ذلك، كعبد الله بن عمر، فإنه ندم على تخلُّفه عن نصرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

---

(١) البخاري: (٧٠٨٣).
(٢) البخاري: (٣١، ٦٨٧٥).

فقال عنده موته: «ما آسى على شيء ما آسى على تركي قتال الفئة الباغية، يعني: فئة معاوية»، وهذا هو الصحيح: أن الفئة الباغية إذا علم منها البغي قُوتلت.

▪▣▪▣▪

## باب جعل الله بأس هذه الأمة بينها

قال الله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

مسلم[١] عن ثوبان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ»**.

قال ابن ماجه في سننه[٢]: يعني الذهب والفضة.

**«وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَلَّا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وأَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَلَّا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»**.

وأخرج مسلم[٣] عن سعد بن أبي وقاص ﵁ أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية - وفي رواية: في طائفةٍ من أصحابه - حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين، فصلينا معه ودعا ربّه طويلًا، ثم انصرف إلينا فقال: **«سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا»**.

▪▣▪▣▪

---

(١) مسلم: (٢٨٨٩).
(٢) ابن ماجه: (٣٩٥٢).
(٣) مسلم: (٢٨٩٠).

## باب ما يكون من الفتن وإخبار النبي ﷺ بها

مسلم[١] عن حذيفة ﷺ قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك فيه شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وأنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه».

مسلم[٢] عن حذيفة ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ مجلسًا - أنا فيه - عن الفتن فقال وهو يعد الفتن: «**مِنْها ثلاثةٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ**». قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ذكر الفتنة التي تموج موج البحر وقول النبي ﷺ: «هلاك أمتي على يد أغيلمة من سفهاء قريش»

ابن ماجه[٣] عن شقيق عن حذيفة قال: كنا جلوسًا عند عمر بن الخطاب ﷺ فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قال حذيفة: فقلت: أنا. فقال: إنك لجريء! قال: كيف؟ قال: سمعته يقول: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**. فقال عمر ﷺ: ليس هذا أريد، إنما أريد التي تموج موج البحر. قال: ما لك ولها يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا. قال: فيفتح الباب أو يكسر؟ قال: بل يكسر. قال: ذاك أجدر ألَّا يغلق، فقلت لحذيفة: أكان عمر ﷺ يعلم من الباب؟ قال: نعم كما يعلم أن دُوْنَ غَدٍ اللَّيْلَةَ، إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط. فَهِبْنَا أن نسأله من الباب، فقلنا لمسروق: سله. فسأله، فقال: عمر ﷺ. أخرجه البخاري ومسلم أيضًا[٤].

---

(١) مسلم: (٢٨٩١).
(٢) مسلم: (٢٨٩١).
(٣) ابن ماجه: (٣٩٥٥).
(٤) البخاري: (٥٢٥، ٣٥٨٦، ٧٠٩٦)، مسلم: (١٤٤).

البخاري[1] عن عمرو بن يحيى بن سعيد قال: أخبرني جَدِّي قال: كنت جالسًا مع أبي هريرة ﷺ في مسجد النبي ﷺ بالمدينة ومعنا مروان، فقال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: «**هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ**»، فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة، قال أبو هريرة: لو شئت أن أقول: بني فلان وبني فلان لفعلت. فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان، حين ملكوا بالشام فإذا رآهم أحداثًا وغلمانًا قال لنا: عسى هؤلاء أن يكون منهم. قلنا: أنت أعلم.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب الأمر بالصبر عند الفتن والسعيد من جُنِّبها

أبو داود[2] عن المقداد بن الأسود ﷺ قال: أيم الله، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا**».

الترمذي[3] عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب جُعل في أول هذه الأمة عافيتها وفي آخرها بلاؤها

مسلم[4] عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلًا فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جَشَرِهِ، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فيدفق بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ: هَذِهِ هَذِهِ،**

(١) البخاري: (٣٦٥٠).
(٢) أبو داود: (٤٢٦٣).
(٣) الترمذي: (٢٢٦٠).
(٤) مسلم: (١٨٤٤).

**فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ»**.

قال عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة: فدنوت منه، فقلت له: أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي. فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا، والله ﷻ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ الآية [النساء: ٢٩]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية [النساء: ٢٩]، فسكت ساعة ثم قال: أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله.

قوله: «ينتضل» الانتضال: الرمي بالسهام. و«الجشر»: المال من المواشي التي ترعى أمام البيوت والديار.

وقوله: «يدفق بعضها بعضًا» أي: يتلو بعضها بعضًا. و«يزحزح» أي: يبعد.

■ ▣ ■ ▣ ■

## باب جواز الدعاء بالموت عند الفتن وما جاء أن بطن الأرض خير من ظهرها

مالك[١] عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِي النَّاسِ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ»**.

البخاري[٢] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ»**، وأخرجه مسلم[٣].

■ ▣ ■ ▣ ■

---

(١) موطأ مالك: (١/ ٢١٨).
(٢) البخاري: (٧١١٥).
(٣) مسلم: (١٥٧).

## باب أسباب المحن والفتن والبلاء

الترمذي[١] عن ابن عمرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطَيْطَاء وَخَدَمَهَا أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ: فَارِسَ وَالرُّومِ سُلِّطَ شِرَارُهَا عَلَى خِيَارِهَا**».

ابن ماجه[٢] عن قيس بن أبي حازم قال: قام أبو بكر ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنّا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقَابِهِ**»، أخرجه أبو داود في سننه[٣]، والترمذي في جامعه[٤].

مسلم[٥] عن عبد الله بن عمرو بن العاصﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ**؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نكون كما أمر الله. فقال رسول الله ﷺ: **أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ: تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ**».

وخرّج ابن ماجه[٦] عن أسامة بن زيدﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَدَعُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»، أخرجه البخاري ومسلم أيضًا[٧].

وخرّج[٨] عن أبي سعيد أيضًا أن رسول الله ﷺ قام خطيبًا وكان فيما قال: «**إِنَّ**

(١) الترمذي: (٢٢٦١).
(٢) ابن ماجه: (٤٠٠٥).
(٣) أبو داود: (٤٣٣٨).
(٤) الترمذي: (٢١٦٨، ٣٠٥٧).
(٥) مسلم: (٢٩٦٢).
(٦) ابن ماجه: (٣٩٩٨).
(٧) البخاري: (٥٠٩٦)، مسلم: (٢٧٤١).
(٨) ابن ماجه: (٤٠٠٠).

**الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلوَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا اللهَ، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ!**»، خرّجه مسلم أيضًا[١] وقال بدل قوله: «**فاتقوا الله**»: «**فاتقوا النار واتقوا النساء**»، وزاد: «**فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**».

الترمذي[٢] عن كعب بن عياض ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ**»، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسنٌ صحيحٌ غريبٌ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب الملاحم

## باب أمارات الملاحم

البخاري[٣] عن عوف بن مالك ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**».

وقوله: «**كَقُعَاصِ الغَنَمِ**» هو داء يأخذها لا يلبثها.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما ذكر في ملاحم الروم وتواترها وتداعي الأمم على أهل الإسلام

ابن ماجه[٤] عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ هُدْنَةٌ، فَيَغْدِرُونَ بِكُمْ، فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ فِي ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**».

---

(١) مسلم: (٢٧٤٢).
(٢) الترمذي: (٢٣٣٦).
(٣) البخاري: (٣١٧٦).
(٤) ابن ماجه: (٤٠٩٥).

مسلم(١) عن بشير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هِجِّيرَى إلا: يا عبد الله بن مسعود، جاءت الساعة، قال: فقعد وكان متكئًا، فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشأم فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعني؟ قال: نعم، ويكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شُرْطَةً للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشُرْطَة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبته، فيقتتلون حتى يمسوا، فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية الإسلام فيجعل الله الدائرة عليهم، فيقتتلون مقتلة عظيمة - إما قال لم ير مثلها، وإما قال لا يرى مثلها - حتى إن الطائر ليمر بجثمانهم فما يخلفهم حتى يخر ميتًا، فيعادُّ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقى منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقسم! فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج في ذراريهم فيرفضون ما بأيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة. قال: قال رسول الله ﷺ: **إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ يَوْمَئِذٍ**».

أبو داود(٢) عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**. فقال قائل: من قلة نحن يومئذ؟ قال: **بَلْ أَنْتُمْ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ المَهَابَةَ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهْنَ**. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: **حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهة المَوْتِ**».

---

(١) مسلم: (٢٨٩٩).
(٢) أبو داود: (٤٢٩٧).

قوله: «**بني الأصفر**» يعني الروم.

**والهدنة**: الصلح. **والغاية**: الراية.

وقوله: «**ليس له هِجِّيرَى**»، هِجِّيرَى: الدأب والعادة. «**وهاجت**»: أي تحركت. «**ريح حمراء**» أي: شديدة احمرت لها الشجر.

**والشرطة**: هنا بضم الشين أول طائفة من الجيش تقاتل.

و«**نهد**»: تقدم. و«**الديرة**» ويروي «لدائرة» والمعنى متقارب، و«**الدَّبَرة**»: النصر والظفر.

**والصريخ**: الصارخ، أي: المصوت عند الأمر الهائل. «**ويرفضون**»: يرمون ويتركون، «**والطليعة**»: الذي يطلع الأمر ويستكشفه، و«**تداعي الأمم**»: اجتماعها.

و«**غثاء السيل**»: ما يقذف به على جانب الوادي من الحشيش والنبات.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في قتال الترك وصفتهم

البخاري[١] عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا وَكَرْمَانَ مِنَ الأَعَاجِمِ: حُمْرَ الوُجُوهِ، فُطْسَ الأُنُوفِ، صِغَارَ الأَعْيُنِ، وُجُوهُهُم المَجَانُّ المُطْرَقَةُ، نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ**».

مسلم[٢] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُقَاتِلُونَ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ، حُمْرُ الوُجُوهِ، صِغَارُ الأَعْيُنِ، ذُلفُ الأُنُوفِ**»، وفي رواية[٣]: «**يَلبَسُونَ الشَّعَرَ، وَيَمْشُونَ فِي الشَّعَرِ**»، أخرجه البخاري أيضًا[٤].

---

(١) البخاري: (٣٥٩٠).
(٢) مسلم: (٢٩١٢/ ٦٦).
(٣) مسلم: (٢٩١٢/ ٦٥).
(٤) البخاري: (٢٩٢٨، ٣٥٨٧).

قوله: «**المجان**»: بفتح الجيم، جمع مجن بكسر الميم وهو الترس، و«**المطرقة**»: هي التي قد عدلت بطراق، وهو الجلد الذي يغشاه، شبَّه وجوههم في عرضها ونتوء وجناتها بالترسة المطرقة. وقوله: «**ذلف الأنف**» أي: غلاظها.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في فضل الشام وأنه معقل من الملاحم

البزار[١] عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الفِتَنُ بِالشَّامِ**».

خرجه أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد، وقال: «**عمود الإسلام**»[٢].

قال أبو محمد عبد الحق: هذا صحيح، ولعل هذه الفتن هي التي تكون عند خروج الدجال، والله ورسوله أعلم.

أبو داود[٣] عن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**فُسْطَاطُ المُسْلِمِينَ يَوْمَ المَلْحَمَةِ بِالغُوطَةِ، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء أن الملاحم إذا وقعت بعث الله جيشًا يؤيد به الدين

ابن ماجه[٤] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا وَقَعَتِ المَلَاحِمُ، بَعَثَ الله جَيْشًا مِنَ المَوَالِي، هُمْ أَكْرَمُ العَرَبِ فَرَسًا، وَأَجْوَدُهُ سِلَاحًا، يُؤَيِّدُ الله بِهِمُ الدِّينَ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

---

(١) البزار: (٤١١١).
(٢) انظر: جزء الغضائري (٣٢).
(٣) أبو داود: (٤٢٩٨).
(٤) ابن ماجه: (٤٠٩٠).

## باب ما جاء في المدينة ومكة وخرابهما

مسلم[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَبْلُغُ المَسَاكِنُ إِهَابَ - أَوْ يَهَابَ -**». قال زهير: قلت لسهيل: وكم ذاك من المدينة؟ قال: كذا وكذا ميلًا.

أبو داود[٢] عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ المُسْلِمُونَ أَنْ يُحَاصَرُوا إِلَى المَدِينَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبْعَدَ مَسَالِحِهِمْ سَلاَحُ**».

مسلم[٣] عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تَتْرُكُونَ المَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا العَوَافِي - يُرِيدُ عَوَافِيَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ - ثُمَّ يَخْرُجُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ المَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا، فَيَجِدَانِهَا وَحْشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا**».

وعنه[٤] قال: قال رسول الله ﷺ للمدينة: «**لَيَتْرُكَنَّهَا أَهْلُهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ مُذَلَّلَةً لِلعَوَافِي**»، يعني: السباع والطير.

وعن حذيفة قال: أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة فما منه شيء إلا قد سألته، إلا أني لم أسأله ما يُخْرِجُ أهلَ المدينة من المدينة.

مسلم[٥] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ رَجُلٌ مِنَ الحَبَشَةِ**».

البخاري[٦] عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا**».

▪▣▪▣▪

---

(١) مسلم: (٢٩٠٣).
(٢) أبو داود: (٤٢٥٠، ٤٢٩٩).
(٣) مسلم: (١٣٨٩/ ٤٩٩).
(٤) مسلم: (١٣٨٩/ ٤٩٨).
(٥) مسلم: (٢٩٠٩).
(٦) البخاري: (١٥٩٥).

## فصل

ثبت في الحديث الدعاء للمدينة وأهلها والحث على سكناها فقال النبي ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ المَدِينَةَ كَالكِيرِ يُخْرِجُ الخَبَثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ المَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ». رواه أبو هريرة ﷺ وخرجه مسلم[١].

وخرَّج[٢] عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ المَدِينَةِ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ المِلحُ فِي المَاءِ». ونحوه عن أبي هريرة ﷺ، ومثل هذا كثير وهو خلاف ما تقدم، وإذا كان هذا فظاهره التعارض وليس كذلك؛ فإن الحض على سكناها إنما كان عند فتح الأمصار ووجود الخيرات بها كما جاء في حديث سفيان بن أبي زهير ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُفْتَحُ اليَمَنُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الشَّامُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبِسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ العِرَاقُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»، رواه الأئمة[٣]، واللفظ لمسلم.

فحض رسول الله ﷺ على سكناها حين أخبر بانتقال الناس عنها عند فتح الأمصار؛ لأنها مستقر الوحي، وفيها مجاورته، ففي حياته صحبته ورؤية وجهه الكريم، وبعد وفاته مجاورة جدثه الشريف ومشاهدة آثاره العظيمة؛ ولهذا قال: «لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ القِيَامَةِ»[٤]، وقال: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ

---

(١) مسلم: (١٣٨١).
(٢) مسلم: (١٣٨٧).
(٣) البخاري: (١٨٧٥)، مسلم: (١٣٨٨).
(٤) ابن ماجه: (٦٠٠١).

يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا»[١]، ثم إذا تغيرت الأحوال واعتورتها الفتن والأهوال كان الخروج منها غير قادح، والانتقال منها حسن غير قادح.

وأما قوله: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ»: فذلك محمول على زمانه وحياته كما في الحديث الآخر: «لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ»، وقد خرج منها بعد موته ﷺ من الصحابة من لم يعوضها الله خيرًا منه، فدلَّ أن ذلك محمول على حياته؛ فإن الله تعالى كان يعوض أبدًا رسوله ﷺ خيرًا ممن رغب عنه، وهذا واضح، ويحتمل أن يكون قوله: «أَذَابَهُ اللهُ» كناية عن إهلاكه في الدنيا بعد موته.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب في الخليفة الكائن في آخر الزمان المسمى بالمهدي وعلامة خروجه

مسلم[٢] عن أبي نضرة قال: كنا جلوسًا عند جابر بن عبد الله فقال: «يوشك أهل العراق ألَّا يجيء إليهم قَفِيزٌ ولا درهم. قلنا: من أين؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذلك. ثم قال: يوشك أهل الشام ألَّا يجيء إليهم دينار ولا مُدْيٌ، قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل الروم. ثم سكت هنيهة ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا ولَا يَعُدُّهُ عَدًّا»، قيل لأبي نضرة وأبي العلاء تريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ قالا: لا.

وخرَّج أبو داود[٣] عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الأَنْفِ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ».

أبو داود[٤] عن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ -

---

(١) الترمذي: (٣٩١٧).
(٢) مسلم: (٢٩١٣).
(٣) أبو داود: (٤٢٨٥).
(٤) أبو داود: (٤٢٨٢).

قال زائدة في حديثه لطوّل الله ذلك اليوم - **حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ فِيْهِ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي** - أو من أهل بيتي - **يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي**». خرجه الترمذي بمعناه[١]، وقال: «حديث حسن صحيحٌ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما جاء في فتح قسطنطينة ومن أين تفتح وفتحها علامة خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه

مسلم[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ المَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ المُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينَةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ المَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي المَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ**».

وخرّج مسلم[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي البَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي البَحْرِ؟**». قالوا: نعم يا رسول الله. **قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا - قَالَ ثَوْرٌ: لَا**

---

(١) الترمذي: (٢٢٣٠).
(٢) مسلم: (٢٨٩٧).
(٣) مسلم: (٢٩٢٠).

أَعْلَمُهُ قَالَ إِلَّا - الَّذِي فِي البَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُون، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الغَنَائِم، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب أشراط الساعة وعلاماتها

فأما وقتها فلا يعلمه إلا الله تعالى، وفي حديث جبريل: «مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، الحديث خرَّجه مسلم[1].

قال العلماء رحمة الله عليهم: والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها تنبيه الناس عن رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة؛ كيلا يعافصوا بالحول بينهم وبين تدارك الفوارط منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانفطموا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، والله أعلم.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»

مسلم[2] عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْن» قال: وضم السبابة والوسطى.

وروي من طرق أخرجها البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه، ومعناها كلها على اختلاف ألفاظها تقريب أمر الساعة التي هي القيامة وسرعة مجيئها، وهذا كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾

---

(١) مسلم: (٨).
(٢) مسلم: (٢٩٥١).

[النحل: ٧٧]، وقوله: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ [الأنبياء: ١]، وقوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وقال: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

وقال الضحاك والحسن: «أول أشرطها محمد ﷺ».

▪▣▪▣▪

## فصل

إن قيل: ثبت أن النبي ﷺ سئل عن الساعة فقال: «**مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»[1]، وهذا يدل على أنه كان عالـمًا، فكيف يأتلف الخبران؟!

قيل له: قد نطق القرآن بقوله الحق ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فلم يكن يعلمها هو ولا غيره.

وأما قوله: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْن**»، فمعناه: أنا النبي الآخر، فلا يليني نبي آخر، وإنما تليني القيامة كما تلي السبابة الوسطى، وليس بينهما إصبع آخر. وهذا لا يوجب أن يكون له علم بالساعة نفسها، وهي مع ذلك دانية؛ لأن أشراطها متتابعة، وقد ذكر الله الأشراط في القرآن فقال: ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨] أي: دنت وأولها النبي ﷺ؛ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث، وليس بينه وبين القيامة نبي، ثم بيَّن ﷺ ما يليه من أشراط الساعة فقال: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا**»[2].

▪▣▪▣▪

## باب أمور تكون بين يدي الساعة

البخاري[3] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ الله، وَحَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ وَتَكْثُرَ**

---

(١) مسلم: (٨).
(٢) مسلم: (٨).
(٣) البخاري: (٧١٢١).

الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ: وَهُوَ القَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ وَحَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لا أَرَبَ لِي فيه، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي البُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ! وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا، فَلا يَتَبَايَعَانِهِ وَلا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلا يَطْعَمُهَا».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: هذه ثلاث عشرة علامة، جمعها أبو هريرة رضي الله عنه في حديث واحد، ولم يبق بعد هذا ما ينظر فيه من صحيح العلامات والأشراط، وفي عموم إنذار النبي ﷺ بفساد الزمان وتغير الدين وذهاب الأمانة ما يغني عن ذكر التفاصيل الباطلة والأحاديث الكاذبة في أشراط الساعة.

وأما الثلاث عشرة خصلة فقد ظهر أكثرها، من ذلك قوله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ**»[1]، يريد فتنة علي ومعاوية - رحمهما الله - بصفين.

وقوله: «**وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ**». الدجال يطلق في اللغة على وجوه كثيرة أحدها: الكذاب.

وقوله: «**حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ**»، فقد قبض العمل به ولم يبق إلا رسمه.

وقوله: «**وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ**»، قيل: المراد: تقارب أحوال أهله في قلة الدين، حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، كما هو اليوم؛ لغلبة الفسق وظهور أهله.

---

(١) أحمد: (١٨/ ٤٠١).

وقوله: «**حَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ**» هذا مشاهد في الوجود مشاهدة تغني عن الكلام عنه.

وقوله: «**حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ**»: ذلك لما يرى من عظيم البلاء، وربح الأعداء، وغبن الأولياء، ورياسة الجهلاء، وخمول العلماء، واستيلاء الباطل في الأحكام، وعموم الظلم، والجهر بالمعاصي، واستيلاء الحرام على أموال الخلق، والتحكم في الأموال والأبدان والأعراض بغير حق كما في هذا الزمان».

و«**اللقحة**»: الناقة الغزيرة اللبن. و«**يليط**»: يصلح.

▪▣▪▣▪

## باب منه

مسلم[١] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ دَوْسٍ، حَوْلَ ذِي الخَلَصَةِ**»، وكانت صنمًا تعبدها دوس في الجاهلية.

وعنه[٢] أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَذْهَبُ اللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الجَهْجَاهُ**».

في غير مسلم[٣]: «**رجل من الموالي يقال له: جهجاه**»، فسقط من رواية الجُلُودي: «**من الموالي**»، وهو خطأ.

وعنه[٤] أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ**».

وخرَّج البخاري ومسلم[٥] عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى**».

---

(١) مسلم: (٢٩٠٦).
(٢) مسلم: (٢٩١١).
(٣) الترمذي: (٢٢٢٨)، أحمد: (١٤/ ١٠٠).
(٤) مسلم: (٢٩١٠)، البخاري: (٧١١٧).
(٥) مسلم: (٢٩٠٢)، البخاري: (٧١١٨).

الترمذي[١] عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ نَحْوِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ**. قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: **عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ**». قال: «حديث حسن غريب صحيح من حديث ابن عمر».

البخاري[٢] عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ**».

مسلم[٣] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ المَالُ وَيَفِيضَ، وحَتَّى يُخْرِجَ الرَّجُلُ زَكَاةَ مَالِهِ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ العَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا**».

وقوله: «**يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ**»: كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه

البخاري[٤] عن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ**»، أخرجه مسلم من حديث أنس[٥].

مسلم[٦] عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ، لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ تَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً، يَلُذْنَ بِهِ، مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ**».

---

(١) الترمذي: (٢٢١٧).
(٢) البخاري معلقا: (٩/ ٥٨).
(٣) مسلم: (١٥٧).
(٤) البخاري: (٥٢٣١، ٥٥٧٧، ٦٨٠٦). وهو عن أنس ﷺ.
(٥) مسلم: (٢٦٧١).
(٦) مسلم: (١٠١٢).

قوله: «**وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ تَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً**»، يريد - والله أعلم - أن الرجال يقتلون في الملاحم وتبقى نساؤهم أرامل؛ فيقبلن على الرجل الواحد في قضاء حوائجهن ومصالح أمورهن، كما قال في الحديث الآخر قبله: «**حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ**» الذي يسوسهن ويقوم عليهن من بيع وشراء وأخذ وعطاء.

## باب كيف يقبض العلم

البخاري ومسلم[١] عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْزِعُ العِلمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ العُلَمَاءِ بِعِلمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ**».

وفي رواية[٢]: «**حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**».

## باب ما جاء أن الأرض تخرج ما في جوفها من الكنوز والأموال

روى الأئمة[٣] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا**» - في رواية: «**عن جبل من ذهب**» - لفظ البخاري ومسلم.

وقال مسلم في رواية[٤]: «**فيقتتل الناس عليه فيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، ويقول كل واحد منهم: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو**».

(١) البخاري: (١٠٠، ٧٣٠٧)، مسلم: (٢٦٧٣).
(٢) ابن ماجه: (٥٢)، أحمد: (١١/ ٣٩٦).
(٣) البخاري: (٧١١٩)، مسلم: (٢٨٩٤/ ٣٠).
(٤) مسلم: (٢٨٩٤/ ٢٩).

وخرّج مسلم والترمذي[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَقِيءُ الأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، فَيَجِيءُ القَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلتُ، وَيَجِيءُ القَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا**»، لم يذكر الترمذي «**السارق وقطع يده**»، وقال: «هذا حديث حسن غريبٌ».

■ ▣ ■ ▣ ■

## باب في ولاة آخر الزمان وصفتهم وفيمن ينطق في أمر العامة

البخاري[٢] عن أبي هريرة ﷺ قال: «بينا نحن عند رسول الله ﷺ في مجلس يحدث القوم إذ جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع ما قال. حتى إذا قضى حديثه قال: **أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ** ؟ قال: ها أنا ذا يا رسول الله. قال: **إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**. قال: وكيف إضاعتها؟ قال: **إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**».

معنى قوله ﷺ: «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ**»، أي: أسند وجعل إليهم، وقلدوه يعني: الإمارة كما في زماننا اليوم؛ لأن الله تعالى ائتمن الأئمة والولاة على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم؛ بقوله عليه الصلاة والسلام: «**كلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[٣]، فينبغي لهم تولية أهل الدين والأمانة والنظر في أمور الأمة، فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التي فرض الله سبحانه عليهم.

وخرّج مسلم[٤] من حديث جبريل الطويل، وفيه: «قال: **فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟**

---

(١) مسلم: (١٠١٣)، الترمذي: (٢٢٠٨).
(٢) البخاري: (٥٩، ٦٤٩٦).
(٣) البخاري: (٨٩٣)، مسلم: (١٨٢٩).
(٤) مسلم: (٨).

قال: مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قال: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرى الحافةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ».

وفي رواية[1]: «إِذَا رَأَيتَ المَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ الحُفَاةَ العُرَاةَ الصُّمَّ البُكْمَ مُلُوكَ الأَرْضِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا».

الترمذي[2] عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعٍ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه

ابن ماجه[3] عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُضْرَبُ عَلَى رُءُوسِهِمْ بِالمَعَازِفِ وَالمُغَنِّيَاتِ، يَخْسِفُ الله بِهِمُ الأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ».

وخرجه البخاري[4] عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ﷺ سمع النبي ﷺ قال: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي ناسٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُوا: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ الله، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) مسلم: (١٠).
(٢) الترمذي: (٢٢٠٩).
(٣) ابن ماجه: (٤٠٢٠).
(٤) البخاري معلقًا مجزومًا به: (٧/ ١٠٦).

## باب في رفع الأمانة والإيمان من القلوب

روى الأئمة البخاري ومسلم وابن ماجه وغيرهم[1] واللفظ لمسلم عن حذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ** - قال ابن ماجه: قَالَ الطَّنَافِسِيُّ: يَعْنِي وَسْطَ قُلُوبِ الرِّجَالِ - **ثُمَّ نَزَلَ القُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**. ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: **يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مثل الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ** - ثُمَّ أَخَذَ حصاة فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ - **فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا**». والله أعلم.

«**الوكت**»: بإسكان الكاف هو الأثر اليسير.

و«**المجل**»: هو النفخ الذي يرتفع من جلد باطن اليد عند العمل بفأس أو محداف أو نحوه، يحتوي على ماء، ثم يصلب ويبقى عقدًا.

وقوله: «**فنفط**»: أي: ارتفع جلدها وانتفخ فتراه منتبرًا أي منتفطًا، ومعناه مرتفعًا جلده من لحمه، وأراد خلو القلوب من الأمانة كما يخلو المجل المنتبر عن شيء يحويه. «**كجمر دحرجته**» يعني: أطلقته.

وقوله: «**ليردنه عليّ ساعيه**»: يعني: من كان رئيسًا مقدمًا فيهم واليًا عليهم أن ينصفني منه وإن لم يكن له إسلام.

---

(١) البخاري: (٦٤٩٧، ٧٠٨٦)، مسلم: (١٤٣)، ابن ماجه: (٤٠٥٣).

## باب في ذهاب العلم ورفعه

ابن ماجه[١] عن زياد بن لبيد قال: ذكر النبي ﷺ شيئًا فقال: «**ذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ العِلمِ**. قلت: يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ زِيَادُ! إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالمَدِينَةِ، أَوَلَيْسَ هَذِهِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ منها**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب في دروس الإسلام وذهاب القرآن

ابن ماجه[٢] عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَدْرُسُ الإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ فِي الأَرْضِ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الكَبِيرُ وَالعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَنَحْنُ نَقُولُهَا**»، قال له صلة: ما تغني عنهم «لا إله إلا الله» وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة ثم رددها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه حذيفة فقال: «يا صلة تنجيهم من النار» ثلاثًا.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب العشر آيات التي تكون قبل الساعة

مسلم[٣] عن حذيفة قال: اطلع رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّابَّةُ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَخُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَثَلَاثُ**

---

(١) ابن ماجه: (٤٠٤٨).
(٢) ابن ماجه: (٤٠٤٩).
(٣) مسلم: (٢٩٠١/ ٤٠).

خُسُوفاتٍ، خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنِ أَبْيَنَ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى المَحْشَرِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا».

وفي رواية[١]: «الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفاتٍ: خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ».

وفي البخاري[٢] عن أنس ﷺ قال النبي ﷺ: «أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ».

مسلم[٣] عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: حفظت من رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا».

وفي حديث حذيفة مرفوعًا: ثم قال عليه الصلاة والسلام: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى حَبَشِيٍّ أحمش السَّاقَيْن، أَزْرَق العَيْنَيْن، أَفْطَس الأَنْفِ، كَبِيرِ البَطْنِ، وَقَدْ صَفَّ قَدَمَيْهِ عَلَى الكَعْبَةِ هُوَ وَأَصْحَابٌ لَهُ وَهُمْ يَنْقُضُونَهَا حَجَرًا حَجَرًا، وَيَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ حَتَّى يَطْرَحُوهَا فِي البَحْرِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ عَلَامَاتٌ مُنْكَرَاتٌ: طُلُوعُ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا، ثُمَّ الدَّجَّالُ، ثُمَّ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، ثُمَّ الدَّابَّةُ».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

---

(١) مسلم: (٢٩٠١/ ٣٩).
(٢) البخاري معلقًا: (٩/ ٥٨).
(٣) مسلم: (٢٩٤١).

## فصل

جاءت هذه الآيات في هذه الأحاديث مجموعة غير مرتبة، ما عدا حديث حذيفة المذكور أولًا، فإن الترتيب فيه بثم وليس الأمر كذلك على ما نبينه، وقد جاء ترتيبها من حديث حذيفة أيضًا قال: كان رسول الله ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه فاطلع إلينا فقال: **ما تذكرون؟** قلنا: الساعة. قال: «**إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُوْنُ حَتَّى تَروا عَشْرَ آياتٍ: خَسْف بالمَشْرِق، وخَسْف بالمَغْرِب، وخَسْف بِجَزِيْرَة العَرب، والدُّخَان، والدَّجَّال، ودَابَّة الأَرْض، ويَأْجُوْج ومَأْجُوْج، وطُلُوْع الشَّمْس مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَار تَخْرُج مِنْ قَعْر عَدَن ترحل الناس**».

وقال بعض الرواة في العاشرة: و«**نزول عيسى ابن مريم**»، وقال بعضهم: و«**بريح تلقِي النَّاسَ فِي البَحْرِ**»، أخرجه مسلم[١]، فأول الآيات على ما في هذه الروايات الخسوفات الثلاثة.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ذكر الدجال وصفته وبعثه ومن أين يخرج وما علامة خروجه وما معه إذا خرج وما ينجي منه وأنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى

مسلم[٢] عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**». وفي رواية: «من آخر الكهف».

وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدَّجَّالُ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ**»[٣].

وعنه[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ**

---

(١) مسلم: (٢٩٠١/ ٤٠).
(٢) مسلم: (٨٠٩).
(٣) مسلم: (٢٩٣٤/ ١٠٤).
(٤) مسلم: (٢٩٣٤/ ١٠٥).

**يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ العَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالآخَرُ رَأْيَ العَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لِيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ العَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ**».

الترمذي[١] عن أبي بكر الصديق ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَفْوَاج كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ**»، إسناده صحيح.

وخرج أبو داود[٢] في سننه عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنِي كُنْتُ قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيْتُ أَلَّا تَعْقِلُوْا، إِنَّ المَسِيْحَ الدَّجَّالَ قَصِيْرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ أَعْوَرُ، مَطْمُوْسُ العَيْنِ لَيْسَتْ بِنَاتِئَةٍ وَلا جَحْرَاءَ، فَإِنِ الْتَبَسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوْا أَنَّ رَبَّكُمْ ﷻ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**».

▪▣▪▣▪

## فصل

وصف النبي ﷺ الدجال وصفًا لم يبق معه لذي لب إشكال، وتلك الأوصاف كلها ذميمة، تبين لكل ذي حاسة سليمة، لكن من قضي عليه بالشقاوة تبع الدجال فيما يدعيه من الكذب والغباوة، وحُرم اتباع الحق ونور التلاوة، فقوله ﷺ: «**إنه أعور وأن الله تعالى ليس بأعور**»: تنبيه للعقول القاصرة أو الغافلة على أن من كان ناقصًا في ذاته عاجزًا عن إزالة نقصه لم يصلح أن يكون إلهًا؛ لعجزه وضعفه، ومن كان عاجزًا عن إزالة نقصه كان أعجز عن نفع غيره وعن مضرته.

▪▣▪▣▪

---

(١) الترمذي: (٢٢٣٧).

(٢) أبو داود: (٤٣٢٠).

## باب ما يمنع الدجال أن يدخله من البلاد إذا خرج

البخاري ومسلم[١] عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ**».

وفي حديث فاطمة بنت قيس: «**فَلَا يَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطَهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، هُمَا مُحَرَّمَانِ عَلَيْهِ كِلْتَاهُمَا...**» الحديث[٢].

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب منه وفي عظم خلق الدجال وعظم فتنته وسبب خروجه

مسلم[٣] عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**».

وفي رواية[٤]: «**أَمْرٌ**» بدل «**خَلْقٌ**».

وفي حديث تميم الداري قال: «**فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا**»[٥].

وعن ابن عمر ﵄ أنه لقي ابن صياد في بعض طرق المدينة فقال قولًا أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السكة، فدخل ابن عمر على حفصة، وقد بلغها فقالت له: رحمك الله ما أردتَ من ابن صياد، أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما يخرج من غضبة يغضبها**»[٦] وسيأتي من أخبار ابن صياد ما يدل على أنه هو الدجال إن شاء الله تعالى.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

(١) البخاري: (١٨٨١)، مسلم: (٢٩٤٣).
(٢) مسلم: (٢٩٤٢).
(٣) مسلم: (٢٩٤٦/ ١٢٦).
(٤) مسلم: (٢٩٤٦/ ١٢٧).
(٥) مسلم: (٢٩٤٢).
(٦) مسلم: (٢٩٣٢).

## باب في خروج الدجال وما يجيء به من الفتن والشبهات وفي نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وبعثه

وقد تقدم من حديث حذيفة أن له جنة ونارًا، فجنته نار وناره جنة.

أبو داود[١] عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ».

مسلم[٢] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلقَاهُ المَسَالِحُ - مَسَالِحُ الدَّجَّالِ - فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الرجل الَّذِي خَرَجَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَيَأْمُرُ بِهِ الدَّجَّالُ فَيُشَبَّحُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَمَا تُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ المَسِيحُ الكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُشَرُ بِالمِيشَارِ مِنْ مَفرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي بَيْنَ القِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا، فيَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قال: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أنه إِنَّمَا قَذَفَ به فِي النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلقِيَ فِي الجَنَّةِ. قال: قال رسول الله ﷺ: هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ».

---

(١) أبو داود: (٤٣١٩).

(٢) مسلم: (٢٩٣٨/ ١١٣).

وفي رواية[١]: قال «يَأْتِي، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ المَدِينَةَ، فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي المَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ - فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ. فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلتُ هَذَا أَتَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الآنَ. قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»، خرَّجه البخاري[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ يحرسونها، فَيَنْزِلُ بِالسِّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»[٣].

وفي رواية[٤]: «كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ».

وعن النواس بن سمعان الكلابي قال: «ذكر رسول الله ﷺ: الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِيَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا! قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ. فقلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ. قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى القَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ،

---

(١) مسلم: (٢٩٣٨/ ١١٢).
(٢) البخاري: (٧١٣٢).
(٣) البخاري: (١٨٨١)، مسلم: (٢٩٤٣).
(٤) مسلم: (٢٩٤٣/ ١٢٣).

فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، وَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرى، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى عليه السلام إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِهِم اليَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ،

**يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»**[١].

وخرج مسلم وابن ماجه[٢] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيَنْزِلَنَّ عيسى ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيْبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الخِنْزِيْرَ، وَلَيَضَعَنَّ الجِزْيَةَ؛ وَلَتُتْرَكَنَّ القِلَاصَ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيُدْعَوُنَّ إِلَى المَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ**».

وعنه[٣] عن النبي ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## فصل

في بيان ما وقع في الحديث من الغريب.

قوله: «**فخفض ورفع**»: أي: أكثر من الكلام فيه.

وقوله: «**إنه خارج خلة**»: والخلة: موضع حزن وصخور، والخلة: ما بين البلدين.

و«**عاث**»: بمعنى الفساد.

وقوله: «**يا عباد الله فاثبتوا**»: يعني: على الإسلام.

وقوله: «**ممحلين**»: أي: مجدبين.

و«**يعاسيب النحل**»: ذكورها.

وقوله: «**بين مهرودتين**» أي: بين شقي ثوب. وقال أكثرهم: في ثوبين مصبوغين بالصفرة.

وقوله: «**فحرز عبادي إلى الطور**» أي: ارتحل بهم إلى جبل يحرزون فيه أنفسهم. والطور: الجبل بالسريانية.

---

(١) مسلم: (٢٩٣٧).
(٢) مسلم: (٤٠٨)، ابن ماجه: (٤٠٧٨).
(٣) مسلم: (١٢٥٢).

و«**النغفة**» جمع نغف وهو الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم.

و«**فرسى**»: أي: هلكى.

و«**الزهم**»: النتن. و«**البخت**»: إبل غلاظ الأعناق عظام الأجسام.

«**الزلفة**»: المضغة الممتلئة، والجمع: زلف.

و«**اللقحة**»: الناقة الحلوب. و«**الفئام**»: الجماعة من الناس. و«**الفخذ**»: دون القبيلة وفوق البطن.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ما ذكر من أن ابن صياد الدجال واسمه صاف

مسلم[(١)] عن محمد بن المنكدر قال: «رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابنَ صياد الدجَّالُ، فقلت له: أتحلف على ذلك؟ قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ».

وعن نافع قال: كان ابن عمر يقول: «والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد». أخرجه أبو داود[(٢)] أيضًا وإسناده صحيح.

وعنه[(٣)] قال: انطلق رسول الله ﷺ وأبي بن كعب إلى النخل التي فيها ابن صياد، حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل طفق يتقي بجذوع النخل وهو يَخْتِلُ أن يسمع من ابن صياد شيئًا قبل أن يراه ابن صياد، فرآه رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها زمزمة، فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: يا صاف - وهو اسم ابن صياد - هذا محمد! فثار ابن صياد، فقال رسول الله ﷺ: «**لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ**».

---

(١) مسلم: (٢٩٢٩).
(٢) أبو داود: (٤٣٣٠)
(٣) مسلم: (٢٩٣١).

وفي رواية[1]: ثم قال له رسول الله ﷺ: «**إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا**. فقال ابن صياد: هو الدُّخُّ. فقال رسول الله ﷺ: **اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ذرني يا رسول الله أضرب عنقه. فقال رسول الله ﷺ: **إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ**».

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب ذكر الدابة وصفتها

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢]، قال العلماء: معنى ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، أي: وجب الوعيد عليهم، فتماديهم في العصيان والفسوق والطغيان، وإعراضهم عن آيات الله تعالى، وتركهم تدبرها، والنزول على حكمها وانتهائهم في المعاصي إلى ما لا ينجع معه فيه موعظة ولا يصرفهم عن غيهم تذكرة، يقول عز من قائل فإذا صاروا كذلك ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢] أي: دابة تعقل وتنطق، وذلك والله أعلم ليقع لهم العلم؛ بأنه آية من قبل الله تعالى ضرورة؛ فإن الدواب في العادة لا كلام لها ولا عقل.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب طلوع الشمس من مغربها وغلق باب التوبة

مسلم[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ**».

وخرَّج الترمذي والدارقطني[3] عن صفوان بن عسال المرادي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ بِالْمَغْرِبِ بَابًا مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ، مَسِيرة سَبْعِينَ سَنَةً ، لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ**»، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

---

(١) مسلم: (٢٩٣٠).
(٢) مسلم: (١٥٨).
(٣) الترمذي: (٣٥٣٦)، سنن الدارقطني: (٧٦١).

قال العلماء: وإنما لا ينفع نفسًا إيمانها عند طلوعها من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تجمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن؛ فيصير الناس كلهم - لإيقانهم بدنو القيامة - في حال من حضره الموت، في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته، كما لا تقبل توبة من حضره الموت.

▪▣▪▣▪

## فصل

**اختلفت الروايات في أول الآيات:**

فروي أن طلوع الشمس من مغربها أولها على ما وقع من حديث مسلم في هذا الباب. وقيل: خروج الدجال، وهذا القول أولى القولين وأصح؛ لقوله ﷺ: «**إِنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ فِيْكُمْ لَا مَحَالَةَ**... الحديث بطوله»[1].

فلو كانت الشمس طلعت قبل ذلك من مغربها لم ينفع اليهود إيمانهم أيام عيسى عليه السلام، ولو لم ينفعهم لما صار الدين واحدًا بإسلام من أسلم منهم.

وقد تقدم القول في هذا مبينًا، وأن أول الآيات الخسوفات، فإذا نزل عيسى عليه السلام وقتل الدجال، خرج حاجًّا إلى مكة، فإذا قضى حجه انصرف إلى زيارة محمد ﷺ، فإذا وصل إلى قبر الرسول ﷺ أرسل الله تعالى عند ذلك ريحًا عنبرية، فتقبض روح عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، فيموت عيسى ويدفن مع النبي ﷺ في روضته، ثم يبقى الناس حيارى سكارى، فيرجع أكثر أهل الإسلام إلى الكفر والضلالة، ويستولي أهل الكفر على من بقى من الإسلام، فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها، وعند ذلك يرفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف، ثم تأتي الحبشة إلى بيت الله فينقضونه حجرا حجرا، ويرمون بالحجارة في البحر، ثم تخرج حينئذ دابة الأرض تكلمهم، ثم

---

(١) ابن ماجه: (٤٠٧٠).

يأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام، وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم، ثم يبعث الله ريحًا من الجنوب من قبل اليمن مسها مس الحرير وريحها ريح المسك، فتقبض روح المؤمن والمؤمنة، ويبقى شرار الناس، ويكون الرجال لا يشبعون من النساء، والنساء لا يشبعون من الرجال، ثم يبعث الله الرياح فتلقيهم في البحر، هكذا ذكر بعض العلماء الترتيب في الأشراط، وفيها بعض اختلاف.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله

مسلم[١] عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: الله الله**». وفي أخرى: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: الله الله**».

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: «الله» برفع الهاء ونصبها، فمن رفعها: رفْعُها بيان، فمعناه: ذهاب التوحيد، ومن نصبها فمعناه: انقطاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي: لا تقوم الساعة على أحد يقول: اتق الله.

▪ ▣ ▪ ▣ ▪

## باب على من تقوم الساعة؟

مسلم[٢] عن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال: كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال عبد الله: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق وهم شرٌّ من أهل الجاهلية، لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم. فبينما هم كذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له ابن شماسة: يا عقبة اسمع ما يقول عبد الله. فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ الله، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ**

---

(١) مسلم: (١٤٨).
(٢) مسلم: (١٩٢٤).

**وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ** - فقال عبد الله: أجل - **ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ المِسْكِ مَسُّهَا كَمَسِّ الحَرِيرِ لَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**».

وفي حديث عبد الله بن مسعود: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس من لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً يتهارجون كما تتهارج الحمر» الحديث.

قال الأصمعي: قوله: «يتهارجون» يقول: يتسافدون، يقال: بات فلان يهرجها، والهرج في غير هذا: الاختلاط والقتل.

وخرّج مسلم[1] أيضًا عن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا تَذْهَبُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ حَتَّى تُعْبَد اللَّاتُ وَالعُزَّى**». فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣] أن ذلك تامًّا. قال: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فيتوفى كُلّ مَنْ فِي قَلبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ**».

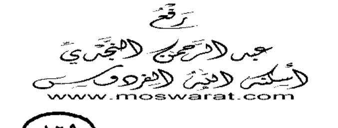
**نسأل الله العظيم، رب العرش العظيم: أن يتوفنا مسلمين، وأن يلحقنا بالشهداء والصالحين، وأن يجعلنا من عباده المتقين الفائزين، ويجعل ما كتبتُهُ خالصًا لوجهه الكريم بمنِّه وكرمه، وأن ينفعنا به ووالدينا، وغفر الله لصاحب هذا الكتاب، ولوالديه، ولسائر المسلمين أجمعين، آمين يا رب العالمين!**

تَمَّ الكِتَابُ وَرَبُّنَا مَحْمُودُ ... وَلَهُ المَكَارِمُ وَالعُلَا وَالجُودُ

وَعَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُهُ ... مَا نَاحَ قُمْرِيٌّ وَأَوْرَق عُودُ

▪▣▪▣▪

(١) مسلم: (٢٩٠٧).






# الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com






## مكتبة الأسرة 1

››.. وتحتوي على 6 كتب :

1. مختصر رياض الصالحين
2. هدي محمد ﷺ
3. مختصر حادي الأرواح
4. مختصر عدة الصابرين
5. مختصر الداء والدواء
6. مختصر الفوائد

## مكتبة الأسرة 2

››.. وتحتوي على 6 كتب :

1. مختصر الفصول في سيرة الرسول ﷺ
2. مختصر الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب
3. مختصر جامع العلوم والحكم
4. مختصر صيد الخاطر
5. مختصر لطائف المعارف
6. مختصر الكبائر

## مكتبة الأسرة 3

››.. وتحتوي على 6 كتب :

1. تفسير العشر الأخير من القرآن الكريم
2. مختارات من مختصر صحيح البخاري
3. أعلام السنة المنشورة
4. مختصر كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة
5. مختصر إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان
6. مختصر تحفة المودود بأحكام المولود



من إصدارات


أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية . جامعة الملك سعود